

# تطور مفهوم الببليولوجيا من « علم الكتاب » إلى « علم الاتصال المكتوب » دراسة تحليلية تاريخية

إعداد:

د. محمد جلال سيد محمد غندور

مدرس علم المعلومات - جامعة القاهرة

كلية الآداب - بنى سويف

## أ - المقدمة

ترجع نشأة مصطلح الببليولوجى - حسب المصادر الموثقة - إلى بداية القرن التاسع عشر، ويعزى الفضل فى ابتكاره - أو استخدامه - إلى جابريل بينو PEIGNOT<sup>(١)</sup>، ومنذ ذلك الاستخدام الأول وحتى يومنا هذا، طرأت تطورات كثيرة وهامة على هذا المصطلح والمفاهيم المتعلقة به، وقد اتسمت هذه التطورات بالتذبذب وعدم التواصل، والسلبية فى بعض الأحيان، ويرجع ذلك إلى بعض الظروف والمعطيات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى كان يمر بها المجتمع الدولى، والتى أثرت بالتالى على كل ما يتصل بالمجالات العلمية والأكاديمية ولم يكن الببليولوجى ليستثنى من ذلك، مما أدى إلى التأخر الواضح لظهور الببليولوجى كعلم معترف به على «خريطة العلوم الإنسانية» حتى النصف الثانى من القرن العشرين.

ومنذ أن قدّمه وعرف به جابريل بينو -G. PEIGNOT «كعلم الكتاب». فى بداية القرن التاسع عشر، فلم يظهر مصطلح الببليولوجى فى كتابات الباحثين، إلا فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية

القرن العشرين، وذلك بفضل العالم الببليوجرافى البلجيكى المعروف بول أوتليه Paul Otlet مما اعتبره البعض «إعادة إحياء»، «أو شهادة ميلاد» جديده للمصطلح، وقد أعاد أوتليه Otlet المصطلح برؤية جديدة على ضوء مفاهيمه لعلم التوثيق-Documentologie، التى كان ينادى بها ويعمل على نشرها. وقد توج أوتليه Otlet أعماله ودراساته حول الببليولوجى، بعمله الشهير الذى نشره عام ١٩٣٤<sup>(٢)</sup>.

وفى خلال الفترة الزمنية ذاتها، قام العالمان الروسيان لوجين ولسوفسكى Lisov- و Lawiagin skى بنشر عمل لهما - وإن لم يكتب له الشيوخ والانتشار - عام ١٩٢٦م، قاما فيه بدراسة وتحليل وتطوير بعض النظريات حول «الببليولوجى» كعلم للكاتب<sup>(٣)</sup>.

بعدها طويت صفحة أخرى من صفحات «الببليولوجى»، وتم - تقريباً - نسيان هذا المجال العلمى، ولم يعد أحد يذكر عنه شيئاً وأهمل إهمالاً كاملاً من قبل الباحثين الأكاديميين، إلا من مجرد تلميحات سريعة تذكر فى بعض الأعمال

الأكاديمية، أو على صعيد أبحاث العلماء المتخصصين، وأبرزت هذه الجهود «ألية عمل دولية»، ترعى برامج البحوث الببليولوجية، والموضوعات المتعلقة بها، وأدى ذلك في النهاية إلى تطور مفهوم الببليولوجي من «علم الكتاب» إلى «علم الكتابة» وأخيراً استقر على مفهوم «علم الاتصال المكتوب».

من السابق، فإنه يبدو من المعقول، أن نطرح التساؤلات حول ماهية هذا العلم وأهميته. ولما أخذ هذه الأبعاد الإقليمية - في أوروبا - ثم توسع وخرج من هذا الإطار إلى العالمية، وتساؤلاتنا تدور حول، تاريخ هذا العلم، متى نشأ؟ وكيف نشأ؟ - وما هي المفاهيم المتعاقبة التي ارتبطت به؟ ولماذا هذا التحول في المفاهيم (فقد تحول من «علم الكتاب» إلى «علم الاتصال المكتوب» مروراً بمفهوم «علم الكتابة»؟) - وهل من الممكن شرح وتفسير هذه المفاهيم، على ضوء المعطيات التاريخية، والإنتاج الفكري للمجال؟.

وسأحاول في هذا البحث الإجابة على هذه الاستفسارات، من خلال استعراض وشرح وتحليل وتفسير الجهود الدولية وخاصة الأوروبية التي تمت في هذا المجال، وأسفرت في نهاية الأمر، على إثبات أحقية الببليولوجي، ليصنف «كعلم للاتصال المكتوب»، ويأخذ مكانه بين علوم المعلومات والاتصالات.

### ٢ - نشأة المصطلح:

في الواقع، لم أجد في كتابات المتخصصين المحدثين منهم أو القدامى، ما يحدد أو يفسر لنا بصورة قاطعة، كيفية نشأة ذلك المصطلح. ولكن يمكننا القول - في هذا الصدد - بأن مصطلح ببليولوجي، ارتبط ارتباطاً وثيقاً بمصطلح أقدم منه

بين حين وآخر. ونهاية الحرب العالمية الثانية، وبداية الانفتاح العلمي، وتطور المفاهيم المتعلقة بالمجالات العلمية المختلفة، بدأ «إحياء» أو «إعادة إحياء» هذا المصطلح مرة أخرى، من قبل مجموعة من العلماء والأوروبيون الذين أخذوا على عاتقهم مسؤولية «إقحام» هذا العلم مرة أخرى على «الخريطة العلمية الأوروبية» ومن ثم على «الخريطة العلمية العالمية».

وتوالى الدراسات والبحوث، والندوات والمؤتمرات، وغيرها من الجهود العلمية والأكاديمية، وأسفرت هذه الجهود عن تطور مفهوم الببليولوجي من «علم الكتاب إلى علم الكتابة»، ولم تتوقف جهود وأنشطة علماء المجال عند هذا الحد، فأنشئت الجمعيات المتخصصة في المجال، وبدأت الجهود التي كانت منذ فترة ما بعد الحرب - تحاول خلق الصلات التفاعلية، والربط ما بين هذا العلم والعلوم الإنسانية الأخرى، تتبلور وتأخذ شكلاً محدداً حتى استطاعت أن تؤكد على أن الببليولوجي، أحد روافد علوم المعلومات والاتصالات، وكانت لكتابات علماء أمثال روبر استيفال R. ESTIVALS، روبر اسكارييه R. ES-CARPIT، وجون ميريا J. MEYRIA، وغيرهم من العلماء الأوروبيين، الفضل في توسيع دائرة النقاش العلمي حول هذا العلم، والتي أدت في النهاية إلى قيام وإنشاء «الجمعية الدولية للببليولوجي L'Asociation Internationale de Bibliologie»، ومن خلال فرق العمل التي كونتها وأشرفت عليها هذه الجمعية، بدأت تنمية وتطوير المفاهيم لهذا العلم، وتبنت الجمعية خطة ذات أبعاد دولية، تمثلت في عقد مؤتمرات، وندوات تحمل اسم هذا العلم، وتدور حول مفاهيمه، وتمثلت أيضاً في رعاية البحوث والدراسات في هذا المجال، سواءً على صعيد الرسائل

نشأة واستخداماً، ألا وهو مصطلح بيليوغرافياً، والعلاقة تبدو واضحة بين المصطلحين، سواءً من زاوية التركيب اللفظي، أو من زاوية المفاهيم المرتبطة والمحيطية بكلٍ منهما. بجانب أن رؤية المتخصصين لهذين المصطلحين كانت متقاربة للغاية، ويظهر ذلك في استخدام جمهرة الباحثين لكلا المصطلحين في الإنتاج الفكري للمجال.

ومن زاوية التركيب اللفظي، فمصطلح بيليوغرافيا يكتب باللغة الانجليزية Bibliography، كما يكتب بالفرنسية Bibliographie. ونجد أن مصطلح بيلولوجي يكتب Bibliology بالانجليزية، أما في الفرنسية فيكتب Bibliologie. ومن المعروف أن هذه المصطلحات تعد من المصطلحات المركبة، التي تتكون من لفظين يمكن إرجاعهما إلى أصول لاتينية، ونجد أن المصطلحين يشتركان في الشق الأول لكل منهما حيث يرد لفظ Biblio، المنحدر من الأصل اللاتيني Biblion ويعني «كتاب». أما الشق الثاني فنجد في المصطلح الأول Graphy بالانجليزية أو Graphie بالفرنسية، وكلاهما مشتق من اللفظ اللاتيني الحديث Graphos، الذي أخذ بدوره من اللاتينية القديمة Graphein، ويعني «يكتب» أو «كتابه»، وقد عرّف قاموس ويسترن Webster مصطلح بيليوغرافيا، بأنها تاريخ الكتب، دراسة الصكوك... المعلومات التي تستعرض تاريخ الكتابات<sup>(٤)</sup>. أما بالنسبة لمصطلح بيلولوجي فالشق الثاني Logy بالانجليزية و Logie بالفرنسية، فهي لاحقة من أصل لاتيني تعني علم أو منطق. ومن هذا يتضح لدينا من التركيب اللفظية لكلا المصطلحين أن أولهما «بيليوغرافيا» يعني «كتابة الكتاب»، والآخر «بيلولوجي» يعني «علم الكتاب». والتشابه ما بين المصطلحين سواءً من زاوية التركيب اللفظية أو من زاوية المعنى اللفظي، يبدو واضحاً

وجلياً ولا يحتاج إلى شروح مطولة، وبالرغم من هذا التشابه إلا أننا نلاحظ شيئاً هاماً يفرق ما بين المدلولان اللفظيان لكل منهما، ففي حين أن كلمة بيليوغرافيا [كتابة الكتاب]، توحى بالمفاهيم المتعلقة بالجوانب العملية والتطبيقية للكتاب، نجد أن مصطلح بيلولوجي [علم الكتاب]، يعطى الإيحاء والانطباع بالجوانب النظرية والمفاهيم المنطقية المجردة للكتاب.

وعلى أي حال، بما أن مصطلح بيليوغرافيا، حسب الشواهد التاريخية، يسبق في ظهوره واستخدامه مصطلح بيلولوجي، فإنه يمكن القول، بأن هذا الأخير مشتق من المصطلح الأول بيليوغرافيا، والعكس ليس صحيحاً.

ويبدو أن العلاقة بين هذين المصطلحين ظهرت للمرة الأولى، في عمل بعنوان «البيليوغرافيا السياسية» «Bibliographia Politica»، قام به جابريل نوديه Gabriel NAUDE الذي كان يعمل سكرتيراً ومكتيباً لدى الكاردينال مازارين MAZARIN، وذلك في عام ١٦٣٣م، وقد أشار روبرت استيفال R. ESTIVALS إلى ذلك، في ورقة عمل تقدم بها إلى «الندوة الدولية الرابعة للبيلولوجي» التي عقدت في تونس ١٩٩٠م؛ وقد أضاف استيفال ESTIVALS، قائلاً أن ل. ن. مالسليه L. N. MALCLES، قد لاحظ أن الباحثين في عصر جابريل نوديه G. NAUDE، كانوا يستخدمون المصطلحات التخصصية للمجال بطريقة تبادلية، لتعريف وتوضيح نفس المواضيع والمفاهيم، ويذكر في هذا الصدد مصطلحات مثل مكتبة Bibliothe- ca، كشاف Index، فهرست Catalogue و Reper- torium، ولذا لا يستبعد أن يكون المصطلحان، بيليوغرافيا Bibliographie، وبيلولوجي Bibliologie، كانا يستخدمان بنفس الكيفية.

ولذا نجد عملاً لجيلوم فرنسوا ديور Guillaume Francois DEBURE، نشر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، بعنوان "Bibliographie Instructive Ou Traite de la Connaissance Des livres Rares et Singuliers [البليوجرافيا التعليمية: أو رسالة المعرفة للكتب النادرة والفريدة]"<sup>(5)</sup>، حيث نلاحظ هنا، التداخل الواضح ما بين المفاهيم المتعلقة بالبليوجرافيات، وتلك التي تخص دراسة الكتب كأوعية للمعرفة، أى ما يدخل فى مفهوم البليولوجى.

وقد أشارت د. هـ. هيرتزل فى مقالها الذى نشرته فى «موسوعة علوم المكتبات والمعلومات»، إلى هذه الظاهرة بقولها «>> بقدوم القرن الثامن عشر، كان مصطلح بليوجرافيا فى فرنسا، يعنى «الكتابة عن الكتب»، ثم تطور هذا المفهوم ليصبح «العلم الذى يتعامل مع الإنتاج المكتوب»، وأخيراً أصبح يُعبر عما يسمى «بعلم الكتاب»<sup>(6)</sup>.

وعلى أى حال، يجب أن نأخذ فى الاعتبار، الفرضية القائلة بأن المحاولات النظرية لتوليف وتوليد وخلق مصطلحات جديدة من خلال معطيات أنظمة علمية، وتطبيقات وممارسات مهنية قائمة بالفعل، تستند على الرؤية الصحيحة للبيئة الاجتماعية المحيطة بهذه المصطلحات. وهذا هو ما يتحتم علينا الأخذ به عندما نتعرض لمناقشة نشأة مصطلح البليولوجى. ومن الواضح أن المفاهيم الأساسية الأولية التى ارتبطت بهذا المصطلح تشكل معظمها فى القرن التاسع عشر، وقد تميز هذا القرن بالمناخ الثقافى الخصب، والثراء العلمى الواسع، حيث يوصف هذا القرن، - بحق، بالنسبة للمجتمعات الأوروبية - بـ«قرن المعرفة»، و «الآراء الفلسفية المتجددة»، وهو القرن الذى شهد تغيرات جذرية فى مجال المكتبات والمعلومات المكتوبة، حيث تم فيه

تأميم عدداً كبيراً من المكتبات الضخمة المتميزة التابعة للأديرة والمؤسسات الدينية لصالح الدولة، وتطوير النظام البليوجرافى، تمهيداً لعمل البليوجرافيات الوطنية، كالبليوجرافية الوطنية الفرنسية التى أمر بها نابليون عام ١٨١١ - ١٨١٢م، كل هذه الأحداث والمعطيات، مثلت وجسدت بيئة اجتماعية تخطت فى تصوراتها كل حدود التقنيات الوصفية والتصنيفية، لأنواع البليوجرافيات المعروفة - آنذاك - ومفاهيمها الشائعة، فكانت فترة «بعث» حقيقية، أعيد فيها التنظيم الشامل للمعرفة ومصادرها ومؤسساتها القائمة، وخلق - بالتالى - بيئة مواتية للتطوير وقيام الفلسفات الجديدة، ولذا ليس من المستغرب أن تكون نشأة مصطلح «البليولوجى» جاءت وليدة هذه الفترة، وذلك العصر، كتعبير عن رغبات العاملين فى مجال المكتبات وما يتعلق بها من أنشطة، لوضع أسس نظرية وعمية للممارسات المهنية والتطبيقية التى يقومون بها. فجاء مصطلح «بليولوجى»، المنبثق من النشاط «البليوجرافى»، ليبلور طموحات المتممين لهذا المجال.

هذا كل ما نستطيع أن نقوله اليوم عن نشأة مصطلح «البليولوجى»، وهو - كما يبدو - غير كاف لتوضيح هذه النشأة بطريقة حاسمة، ويحتاج الأمر إلى مزيد من الأبحاث والدراسات الأكثر عمقاً حول هذه القضية.

### ٣ - نشأة العلم:

لا يوجد الكثير من الكتابات التى تفسر نشأة البليولوجى كعلم، ويبدو أن هذه القضية لم تلق عناية كبيرة من الباحثين، وانعكس ذلك على قلة الكتابات حول هذا الموضوع. وقد يرجع ذلك إلى المسار المتذبذب الذى اتسم به تاريخ هذا العلم، وفترات الظهور والاختفاء والانقطاع والاستمرارية

نادى بها سلفة، تُعد أكثر بقليل مما يجب لتقسيم الفترة التي نشأ فيها هذا العلم، وأشار بأننا نستطيع من خلال تحديد ثلاث مراحل تتسم كل منها بالشمول والتغطية الزمنية لحقب تاريخية أكبر، كافية لتحديد المراحل التاريخية وتفسير نشأة البيولوجي<sup>(٨)</sup>.

ويحدد استيفال ESTVALS رؤيته بمقدمات منطقية، يبدوها بفرضية تشير إلى أن نشأة البيولوجي، استندت في المقام الأول على نشأة الكتابة وتطورها، وهو يفرق في هذا الصدد ما بين المراحل التطورية المختلفة للكتابة، وينادى بعدم الأخذ بالفترة التي عرف فيها إنسان المجتمعات البدائية الأولى مبادئ التعبير عن الذات، عن طريق الاعتماد على وسائل اتصال غير ناضجة والتي اعتمدت فيها البشرية في الاتصال على الرسومات والنقوش والرموز البدائية، التي لم تبلغ مرحلة النضج اللغوي الكتابي الكافي، لتعد لغة مكتوبة.

وانطلاقاً من هذه الرؤية، قام استيفال -ESTI- VALS، بتصنيف المراحل الثلاثة التي نادى بها، حيث أطلق على المرحلتين الأولىين «المراحل التقنية»، أما المرحلة الأخيرة فقد وصفها بأنها «المرحلة العلمية».

ويحدد استيفال ESTIVALIS في هذا التقسيم المرحلي الثلاثي، التسلسل المنطقي العلمي والكلاسيكي لنشأة العلم. وترجم استيفال -ESTI- VALS، هذه المراحل من خلال رؤيته التنظيرية، ليرى في كل منها مرحلة معرفية، تقود بطريقة تلقائية إلى ما بعدها، بحيث تتداخل هذه المراحل فيما بينها بطريقة منطقية. وقد تمثلت رؤيته للثلاثة مراحل فيما يلي:

أ - مرحلة تقنية أولى: مرحلة اكتشاف الظاهرة:

على مدى قرنين من الزمان، مما جعل من الصعب على الكثير من الباحثين متابعته بدقة، ومحاولة الإجابة على التساؤلات كيف؟ ولماذا؟. وركزوا جل اهتمامهم على محاولة تفسير العلم نفسه، وعلى المفاهيم المحيطة به. إلا أن هذا لا يعنى أنه لم يكن هناك من العلماء من تصدوا لهذه القضية، وأدلو بأرائهم ورؤيتهم ومنظورهم حول نشأته، وسنورد فيما يلي أهم التصورات التي وردت حول هذا الموضوع.

قام بول أوتليه P. OTLET، بتطبيق نظرية المراحل التاريخية للعلوم، لتفسير نشأة البيولوجي، وربطها إلى حد كبير بتاريخ الكتاب، ويرى أوتليه OTLET أنه بإمكاننا تفسير هذه النشأة على ضوء أربعة مراحل متميزة<sup>(٧)</sup>، وإن كانت متداخلة فيما بينها، ويمكن تلخيص تلك المراحل الأربعة فيما يلي:

أ - مرحلة إنتاج الكتاب (ويمكن التوسع في هذا المفهوم ليشتمل، إنتاج الأنواع المختلفة للوثائق المكتوبة أو المطبوعة).

ب - مرحلة إنشاء المؤسسات المعنية بتنظيم الإنتاج الفكري المكتوب (المكتبات، مراكز التوثيق... الخ).

ج - مرحلة وضع الإيس البيوجرافية واستخدامها، لتقنين الكتابات، والتعرف على الإنتاج الفكري المكتوب.

د - مرحلة نشأة البيولوجي كحتمية منطقية، للمراحل السابقة، بغرض وضع الأسس النظرية والعلمية لتلك الممارسات التطبيقية والمهنية.

أما روبرير استيفال R. ESTIVALIS، وهو أحد العلماء الفرنسيين البارزين في مجال البيولوجي، وهو ينتمى إلى المدرسة الفكرية لبول أوتليه P. OTLET، فقد رأى أن الأربعة مراحل التاريخية التي

اكتشاف تقنيات الكتابة وإنتاج المعلومات المكتوبة عن طريق هذه التقنيات.

ب - مرحلة تقنية ثانية: مرحلة وصف الظاهرة، وتحليلها، والتعرف على مفرداتها بغرض السيطرة عليها والتحكم فيها والاستفادة منها: مرحلة وضع الأسس الجغرافية وعمل البيولوجرافيات واستخدامها للسيطرة على الإنتاج الفكري المكتوب.

ج - المرحلة العلمية: مرحلة وضع الأسس العلمية والمنطقية والتفسيرية والتنظيرية للظاهرة تهيئة لتحويلها إلى علم يستفاد منه: نشأة البيولوجي.

وبالرغم من وجود بعض الاختلافات بين المنظور الذى وضعه بول أوتليه P. OTLET فى منتصف العقد الثالث من هذا القرن، ومنظور روبر استيفال R. ESTIVALS، الذى نادى به فى العقد التاسع من القرن نفسه، فيما يخص عدد المراحل المنطقية التى تفسر على ضوءها نشأة البيولوجي، إلا أن المنظورين يتفقان فى جوهرهما، وفروضهما الأساسية، حيث يتفق العالمان، على أن نشأة البيولوجي، ترتبط بشكل أساسى ومحتم، بتاريخ الكتابة والكتاب من ناحية، وبالمعطيات المنطقية التى تحيط بنظرية العلوم، والمفاهيم المتعارف عليها فى تفسير نشأتها، من ناحية أخرى.

وقد رأيت أن أقوم، باستعراض سريع للمراحل الرئيسية الثلاثة، التى تضمنها منظور استيفال ES-TIVALS، حيث أراه أقرب المنظورين إلى المفهوم المعاصر لتفسير نشأة هذا العلم، وذلك بغية توضيح المفاهيم الأساسية التى وردت بتلك المراحل، والتأكيد على منطقية تسلسلها وتفسيرها لنشأة البيولوجي.

### ١/٣ - مرحلة تقنيات الكتابة والإنتاج المكتوب:

تمثل هذه المرحلة، فترة ظهور الكتابة، التى

جاءت لتلبية الحاجات الاجتماعية الجديدة، للمجتمعات التى تطورت من المرحلة البدائية إلى مرحلة بداية النضج الاجتماعى، وكان من الضرورى أن تبدأ فى هذا المجتمعات عملية خلق الأفكار وتركيزها، وتقنيتها وتداولها، ليس فقط لخدمة الأهداف الدينية والسياسية والاقتصادية... الخ. لتلك المجتمعات، بل - أيضاً - لإتاحة هذه المعارف للأجيال اللاحقة. وكان من المحتم اكتشاف الوسيلة لتحقيق هذه الأهداف، وتبلورت هذه الوسيلة وتجسدت فى اكتشاف «تقنيات الكتابة»، إلا أن هذا الأمر لم يكن بالبساطة التى يبدو بها. فقد كانت هنالك العديد من العقابيل الفكرية والإبداعية، بجانب العقبات التقنية والعملية، التى تقف حائلاً دون هذا الإنجاز. فقد كان الأمر يحتاج من العاملين عليه أن يتميزوا بالوعى الكامل والإدراك الحسى المرهف، والرؤية الواضحة للأبعاد النفسية للغة المكتوبة، حتى يتمكنوا من التغلب على صعوبات تجسيد الأخيلى، والتصورات، والأوهام الفكرية، وبلورة القيم المطلقة، ونوازع النفس البشرية الغير ملموسة، والأمال، والطموحات وغيرها... من المفاهيم المجردة، ووضع كل هذه النماذج والأفكار التجريدية فى قالب لغوى سليم، يعبر بدقة عن كل جزئيات وتفصيل الحياة البشرية الحسية والمادية المفرقة فى التعقيد، فى إطار مفردات لغة مكتوبة، ومقروءة ومفهومة وقابلة للتداول، ومتضمنة لمعايير الاتصال الاجتماعى والثقافى والعلمى، رفيع المستوى.

لذا فإن «الكتابة» التى نتحدث عنها فى إطار تناولنا لقضية نشأة البيولوجي، لم تكن وليدة عصر واحد، أو حتى حضارة واحدة منفردة، بل كانت نتيجة للممارسات والخبرات والمعارف التراكمية للعديد من الحضارات، وقد أخذت صوراً متعددة

قبل أن تتشكل بصورتها النهائية المتعارف عليها في عصرنا الحديث. وقد مرت بمراحل تجريبية شتى، طبقت فيها أنواع الكتابات التصويرية في المجتمعات البدائية الأولى، والكتابات الرمزية للحضارات القديمة كالفرعونية، والصينية والسومرية القديمة «المسمارية»، ثم بدأ التطور التدريجي للغات والكتابات الصوتية في الحضارات الفينيقية واليونانية، والتي أسفرت في نهاية المطاف عن ظهور الأبجديات التي تعد أساس اللغة الصوتية الحديثة، وتعبير آخر، التقنية الكتابية التي هي منشأ الكتابات الحديثة المتعارف عليها الآن، والتي استطاع الإنسان أن يسجل عن طريقها، إبداعاته الفكرية ويضعها في شكل مكتوب، وهو الأمر الذي أدى إلى ظهور الوثيقة المكتوبة بشتى صنوفها وضروبها كما نعرفها - الآن - في مجال البيولوجي أو علم الاتصال المكتوب.

### ٢/٣ - وصف وتصنيف الكتابة أو مرحلة البيولوجرافيات :

تعد هذه المرحلة، الحلقة الوسيطة في سلسلة المنظور المنطقي لنشأة البيولوجي، وتأخذ أهميتها من كونها، همزة الوصل ما بين الرؤية غير المحددة والقاصرة - إلى حد ما - لأنشطة تقنية غير مصنفة في إطار علمي محدد، وبين تشكل المفاهيم التأسيسية وتبلورها حول رؤية علمية تستند بقوة على قواعد منهجية تنظيرية، ترمى إلى خلق وتطوير «علم» (وأقصد هنا البيولوجي)، ووضعه في مكانته الصحيحة بين العلوم الإنسانية الأخرى، وبالتحديد كأحد العلوم المتفرعة من علوم المعلومات والاتصالات.

وتتصف هذه المرحلة - في رأى التواضع - بنوعين من الأنشطة، يوصف أولهما «بالنشاط التقني العملي أو التطبيقي»، أما ثانيهما فيقع في

إطار «الأنشطة الفكرية والرؤية الفلسفية». ونعنى بأولهما قيام المؤسسات الاجتماعية المعنية بتقديم خدمات المعلومات، وتمثل شبكة المرافق التي تحتضن أنشطة التنظيم والحفاظ على الإنتاج الفكرى المكتوب، من مكاتب ومراكز توثيق ومعلومات، ودور محفوظات... الخ. أما ثانيهما، فنعنى به الفكر الفلسفى، والمنظور الاجتماعى الذى أدى إلى ظهور الأعمال البيولوجرافية ودعم مسيرتها. وأنى على قناعة بأن البذرة الأولى التى تكونت لهذا العلم، خلال مرحلة «تقنيات الكتابة والإنتاج الفكرى المكتوب»، وجدت فى المرحلة الوسيطة أرضاً خصبة، تشكلت تربتها من تماذج ثرى للتطبيقات العملية والمفاهيم الفلسفية، أمدت وغدت تلك البذرة بمقومات الحياة والنماء، لتنتب وتزدهر، لتصبح مع مرور الزمن شجيرة علمية تسعى جاهدة لأخذ مكانها فى حديقة العلم. وأنى لأرى أن هذا التلاحم بين الفلسفة والتطبيق، لم ينشأ بمحض الصدفة، بل مكان استجابة تلقائية وطبيعية لمعطيات البيئة الاجتماعية المحيطة بهذه الأنشطة، والتسلسل المنطقى للأحداث، وأعنى به نشأة تقنيات الكتابة وتطورها، الذى أدى إلى الزيادة المطردة والسريعة للإنتاج الفكرى المكتوب، مما حتم ضرورة قيام مؤسسات اجتماعية للحفاظ على هذا الإنتاج الهام المتسم بالنمو والاستمرارية كما ونوعاً، فى ظل مناخ فكرى مواتى ومحفز لأحداث تطورات جذرية فى مجال المعرفة المكتوبة والمسجلة، وكذا، كان للتوافر الكبير فى الأعداد المنتجة من الكتب، وتزايد نسبة المتعلمين، الذين أدى إلى ظهور طبقات جديدة فى المجتمعات تتميز بطموحات كبيرة، وتسعى إلى إشباع حاجاتها الثقافية والعلمية، وتطور خدمات المكتبات العامة والتوسع فيها، وبداية عصر النهضة، وحلول عصر الإصلاح والمعرفة،

والعلمية للبيولوجيات، وهو الأمر الذى مهد الطريق لنشأة البيولوجى.

### ٣/٣ - نشأة البيولوجى:

تفيدنا الدراسات التى تبحث فى تاريخ العلوم، أن نشأة أى علم تستند على ملاحظة الظواهر ودراستها، من خلال الرؤية التسجيلية والتصنيفية لها. أى عن طريق الوصف التسجيلى للظواهر وتصنيف مكوناتها، بغرض تحليل واقعها المعقد للوصول إلى مرحلة فهمها واستيعابها، ومن ثم السيطرة عليها والتحكم فيها وتقنين استخدامها لنصل بها إلى مرحلة العلم. ولكن يجيء الوقت الذى يتطلع فيه الباحثون والعلماء إلى تحقيق أهداف أكثر شمولية وعمقاً فى فهم الظواهر، فإذا كان الوصف التسجيلى والتحليل والتصنيف للظواهر، ويقود الباحثين إلى مستوى معرفى معين، فلا يعنى هذا نهاية المطاف بالنسبة للعلماء والمنظرين، وتبقى هناك مستويات معرفية أخرى يتطلعون للوصول إليها، وبعد المستوى المعرفى التفسيرى للظواهر، الذى يتعدى برؤيته مرحلة التسجيل والتحليل والتصنيف، أحد هذه المستويات. وهذا الرؤية العلمية بذاتها، وهى التى قادت إلى نشأة البيولوجى.

فالبيولوجيا كعلم، يقوم بتسجيل وتحليل وتصنيف ظاهرة تداول الإنتاج الفكرى المكتوب، اكتسب صفة «العلمية» من هذا المفاهيم، إلا أن طموحات علماء المجال ومنظرية، تجاوزت فى رؤيتها ذلك الإطار العلمى - المحدود إلى حد ما - ودفعتهم للبحث عن صيغ ومفاهيم جديدة ومناهج مستحدثة، تعينهم - ليس فقط - على فهم واقع الظاهرة ونتائجها، بل تمكنهم من تفسيرها علمياً. وكان الهدف من ذلك، ليس مجرد السيطرة

وتعاطم الاهتمام بالحركة الإنسانية، والتحرر الفكرى، وظهور المدارس الفلسفية والعلمية كنتاج طبيعى لظهور الفلاسفة والعلماء، وبداية التقدم العلمى - كان لهذا - الأثر الكبير فى المناداة بتنظيم هذه المعارف وتصنيفها وتقنينها بغية الحفاظ عليها والاستفادة منها.

ويمكننا القول، بأن استحداث البيولوجيات جاء كرد فعل إيجابى. لمقابلة هذه الاحتياجات، وتحقيق هذه الأهداف. وإن هدفت الأعمال البيولوجية فى بداية نشأتها - كمنشآت تقنى - إلى حصر الإنتاج الفكرى المكتوب وتسجيله فى قوائم وصفية معتمدة، إلا أن هذا الهدف طرأت عليه تطورات جذرية، أضافت الكثير إلى مفاهيمه ليشمل أعراض أخرى أوسع وأرحب من هذا المفهوم الضيق، وبرزت مفاهيم تسعى إلى تأصيل المعارف ونشرها، كأهداف رئيسية، وبذلك عبرت البيولوجيات «دائرة النشاط التقنى» لتأخذ مكانها على الخريطة العلمية، وقد عبر عن ذلك ويندهام هولم E. WYNDHAM HULME ، فى بحثه «البيولوجيا الإحصائية» عندما صرح قائلاً:

Bibliography is the science of the organization of recorded Knowledge

[البيولوجيا، هى علم تنظيم المعارف المسجلة]<sup>(٩)</sup>.

اعتمد الاعتراف بالبيولوجيا «كعلم» على جهود العديد من الباحثين، حيث اشتملت كتاباتهم على توضيح وشرح البعد الفلسفى والاجتماعى للبيولوجيات، والتعريف بالأنظمة البيولوجية، وتحديد أهداف البحوث والدراسات التى تجرى فى هذا المجال، وابتكار مناهج البحث الوصفية والتحليلية للأعمال البيولوجية، وأدت هذه الجهود إلى بلورة وتجسيد الرؤية النظرية



والتحكم فى استخدام الظاهرة، بل تعدى ذلك، إلى القدرة على التحكم فى مفرداتها ومكوناتها، وتغير طبيعتها - جزئياً أو كلياً - للتوصل إلى خلق وابتكار خواص جديدة تماماً تؤدي إلى نشأة ظواهر تختلف فى طبيعتها وخواصها، وبالتالي فى سبل استخدامها ونتائجها عن الظاهرة الأصلية. ولتحقيق تطلعات منظرو وعلماء المجال فى خلق علم يمكنهم من بلورة هذه الطموحات، وكانت نشأة هذا العلم «البيلولوجى»، الذى استند على المنظور التفسيرى لظاهرة تداول المعلومات المكتوبة فى المجتمع، على ضوء العلاقات المتداخلة بين النظم الاتصالية المكتوبة، والنظم الاجتماعية للمجتمع المنتج والمستفيد، والفكر الفلسفى المتحكم فى مفردات ومكونات هذه الظاهرة، بغرض ابتكار وخلق ظواهر جديدة تزيد من فاعلية مستويات التطبيق وترتقى بها إلى آفاق أرحب وأوسع.

## ٤ - التأريخ للعلم:

عند دراسة التطورات التاريخية للبيلولوجى، يجد الباحث نفسه فى حاجة إلى التعامل مع عدة مفاهيم، تختم عليه معالجة هذه القضية عن طريق مداخل ومناهج متعددة، ليس أهمها الدراسة التطورية التعااقبية Diachronic Study، بل إن تلك الرؤية الزمنية تعد إحدى المناهج المتساوية الأهمية مع غيرها من الرؤى التى يتحتم على الباحث استخدامها - حيث توصلت من خلال أبحاثى حول هذا الموضوع، أن تاريخ البيلولوجى يتداخل بصورة معقدة مع المسارات التطورية التاريخية لأنظمة وعلوم أخرى، مما يجعل من الصعب - بل ومن المستحيل فى بعض الأحيان محاولة التعرض لتاريخ البيلولوجى بدون الخوض فى العلاقات التاريخية والموضوعية المتبادلة بين هذه الأنظمة العلمية، مما يجعل مهمة الباحث صعبة للغاية عند

القيام بالترفة والفصل ما بين ما يخص تلك الأنظمة والعلوم من مفاهيم، وتلك المتعلقة بالبيلولوجى، وأن الأمر يحتاج إلى كثير من الحرص والتأنى، وتوخى الدقة عند عملية الفصل ما بين تلك المفاهيم، حتى لا يفقد الخيط الرئيسى للدراسة، فى هذا الخضم المتلاطم والمتلاحم من المفاهيم المتشابهة والمتوازية تاريخياً وموضوعياً. لذا فقد رأيت استخدام منهج الدراسات التزامنية Syn-chronic Studies، جنباً إلى جنب مع منهج الدراسات التطورية التعااقبية، بطريقة تبادلية<sup>(١٠)</sup>، بغرض تحقيق أقصى فائدة ممكنة من تحليل البيانات، والوصول إلى الهدف المنشود من هذه الدراسة.

انطلاقاً من هذه الرؤية المنهجية، فقد اتبعت منهج دراسة تاريخ البيلولوجى، باتخاذ عدة محاور يرتبط كل منها «بمفهوم ما» ارتبط به البيلولوجى كمصطلح أو كعلم، فى مرحلة ما «من مراحل تطوره التاريخى، شريطة أن يكون هذا المفهوم - أو مجموعة المفاهيم - قد أثر فى مسار هذا العلم وتطوره، وذلك فى إطار مراحل تاريخية زمنية متعاقبة، تبدأ وتنتهى بأحداث منطقية أو منعطفات تاريخية مؤثرة. وقد حددت المحور الأول من خلال أقدم المفاهيم والعلاقات التى ارتبطت به (أى البيلولوجى) منذ ظهوره للمرة الأولى فى كتابات الباحثين، وأعنى بذلك، علاقة البيلولوجى بالبيلوجرافيا كمصطلح، وتقنيات، وعلم.

١/٤ - المرحلة الأولى: الإطالة وبدء التكوين: بداية القرن التاسع عشر

١/١/٤ - المحور الأول: البيلولوجى / البيلوجرافيا / تقنيات المكتبات

فى رأى - وقد يرى البعض غير ذلك - أن البيلولوجى بدأ بداية متواضعة، حيث لم تسبقه أى

ies. وكان ذلك في رأى أول المحاولات لتوضيح مفاهيم الأنشطة المتعلقة بالبيولوجى. وبناء على كتابات جابريل بينو G. PIEGNOT، فإن البيولوجى يعد الشق التنظيرى للبيولوجرافيا، أو ما يمكن أن يطلق عليه «نظرية البيولوجرافيا»، ويمثل لديه نوع من المنظور الشمولى الأقرب إلى النظرة الفلسفية التى تسبق القيام بالأعمال البيولوجرافية.

ويبدو أن تلك الرؤى للبيولوجى، سادت لفترة زمنية ليست بالقصيرة، حيث نجد بيير لاروس Pierre LAROUSSE، عام ١٨٦٧م يقوم بتعريف البيولوجى، بأنه «الجزء النظرى للبيولوجرافيا، التى تعالج القواعد والمصطلحات لهذا العلم» (١٣)، وهى تلك الرؤى البيولوجية بذاتها، التى اكتشفها ل. ن. مالسليه L. N. MALCLES، فى أعمال تشارلز موريت Charles MORTET، عام ١٨٦٩م، الذى كان يرى فى البيولوجى المقابل النظرى للبيولوجرافيات التى تستخدم أدوات المعلومات المتعلقة بتحليل ومعالجة خصائص الكتاب والبحث العلمى المكتوب، والقواعد التقنيات فى مجال المكتبات.

إن كانت تلك المفاهيم تمثل رؤية المدرسة الفكرية الفرانكفون (البلاد الناطقة باللغة الفرنسية)، فإننا نجد رولاند هود Roland HOUDE، يعبر عن وجهة نظر المدرسة الفكرية الأنجلوفون (البلاد الناطقة باللغة الإنجليزية) لنفس الفترة الزمنية، حيث صرح فى عمل له قائلاً «بالرغم من قيام ويليم ألفرد William ALFRED، امكتبى وأخصائى الفهرسة بالمتحف البريطانى فى الفترة من ١٨٨٣ إلى ١٩٢٤م، بالاعتراض على استخدام مصطلح بيولوجى فى الطبعة الشاملة للموسوعة البريطانية Encyclopedia Britannica، الطبعة ١١ لسنة ١٩١٠، مجلد ٣، ص ٩٠٨ - ٩١١، فى مقال

مظاهرة علمية، تبشر به وتمهد لظهوره، فقد أهّل على المجال العلمى عام ١٨٠٢م من خلال عمل جابريل بينو Gabriel PEIGNOT، الذى لم يلق الاستجابة الكافية من الباحثين عند صدوره. وقد توقفت كثيراً أمام هذا العمل، وتساءلت هل أتخذة مرتكزاً ونقطة انطلاق للتأريخ للبيولوجى، أم أبحث لنفسى عن منطلق آخر؟ وبعد إمعان فكر، وجدت فى هذا العمل بداية منطقية ومدخلاً طبيعياً، ليس فقط لأنه أول من قدّم لهذا العلم، بل لأنه أول من أشار إلى علاقة المفاهيم البيولوجرافية بالبيولوجى، وعليه فإن تلك البداية تجسد تماماً جوهر المنهجية التى اتبعها، والتى يمتزج فيها التسلسل التاريخى مع المفاهيم العلمية التى ارتبطت بالبيولوجى، ولذلك فهى تمثل المدخل «التاريخى / المفهومى» أو «الزمنى / البيولوجرافى».

قام بينو PEIGNOT، فى هذا العمل، بالتعامل مع البيولوجى على أنه النظرية البنائية التاريخية للكتاب، واستخدام مصطلحات تخصصية لتعزيز المفاهيم المحيطة بمصطلح البيولوجى، فقد استخدم - على سبيل المثال - مصطلح Bibliopolie<sup>(١١)</sup>، ليبر عن ذلك الجزء من البيولوجى المتعلق بتوزيع الكتب، أما مكتبات بيع الكتب فكان يشير إليها بمصطلح Librairie، وبالرغم من العلاقة المتداخلة بين مفهوم المصطلحين، حيث أن كلاهما يختص بتوزيع الكتب، فقد عمل بينو PIEGNOT على تأكيد الاختلافات فيما بينهما فى كتاباته، وإن كان مقلداً فى استخدامه لمصطلح LIBRAIRIE<sup>(١٢)</sup>. وأعتقد أن بينو PIEGNOT، كان يرمى من ذلك إلى التفرقة ما بين التوزيع العلمى والأكاديمى للكتاب عن طريق شبكة مكتبات الإطلاع والإعارة Bibliothéques، والتوزيع التجارى للكتب الذى تقوم به قنوات التوزيع التجارية لبيع الكتب Librair-

له بعنوان «البليوجرافيا والبليولوجى Bibliography and Bibliology»، إلا أن ذلك لم يمنع استمرارية استخدام هذا المصطلح أو المفاهيم المتعلقة به، وكذلك لم يعق تطور هذا العلم فى البيئة العلمية الأنجلو فونيه»<sup>(١٤)</sup>.

ويلاحظ من الطرح السابق، أن البليولوجى، ارتبط فى بدايته، ارتباطاً وثيقاً بالبليوجرافيا، وتقنيات المكتبات، واختلطت مفاهيمهما معاً، بالرغم من محاولات الكثير من العلماء والباحثين من التفرقة والفصل بينهما، إلا أن هذا الفصل لم يكن كاملاً، وكان هناك - دائماً - مفهوماً سائداً بأن البليولوجى والبليوجرافيا، وجهان لعملة واحدة، أحدهما نظرى وعلومى (البليولوجى)، والآخر تطبيقى وتقنى (البليوجرافيا).

ومع الوقت بدأ الفصل التدريجى ما بين مفاهيم النظامين البليولوجى، والبليوجرافى، وإن تطلب الفصل الكامل فترة زمنية طويلة - نسبياً - منذ بداية القرن التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين، وبالتحديد فى الثلث الأول من هذا القرن، جاء الاعتراف الكامل من الأوساط العلمية الأوروبية بالبليولوجى كعلم للكتاب، وتبلور هذا الاعتراف فى المدرسة الفرانكفون، من خلال المناقشات والتوصيات الناتجة عن الندوة العالمية التى نظمتها الجمعية التاريخية «مركز التلخيص التاريخى Le Centre De Synthese Historique que» عام ١٩٣٤م، وتم خلال هذا التجمع العلمى، تعريف البليوجرافيا «كقائمة تصف وتصنف الأعمال المطبوعة» أما البليولوجى فقد عرف «بعلم الكتاب»<sup>(١٥)</sup>. وتزامن هذا الحدث، مع نشر أوليه OTLET، لعمله الشهير «معالجة مجموعات الوثائق: الكتاب عن الكتاب: النظرية والتطبيق»<sup>(١٦)</sup>. والذى قام فيه البليوجرافى البلجيكى الشهير أوليه OTLET، بإرساء القواعد

الأساسية للبليولوجى «كعلم الكتاب» وتوسع فى شرح مفاهيم هذا العلم ومناهجه البحثية (البليومتري Bibliometric)<sup>(١٧)</sup>، ووضع الحدود الفاصلة ما بين البليوجرافيا والبليولوجى، وإن كان تعرض فى كتبه إلى قضية أخرى حول علاقة البليولوجى بعلم الوثائق، Documentologie، مما أدى إلى فتح باباً جديداً للنقاش، حول هذا العلاقة، مما أدى بدوره إلى إلقاء المزيد من التساؤلات حول ذلك العلم، ومدى تأثير هذه العلاقة على مساره وتطوره. (ستتم مناقشة هذا العمل بطريقة أكثر تفصيلاً فى المرحلة اللاحقة من البحث).

أما فى المدرسة الفكرية الأنجلو فون، فقد استمر الاتجاه الذى ينادى بفصل المفاهيم، بين النظامين البليوجرافى والبليولوجى، وبناء على ما أوردته مالكلية MALCLES فى عملها المعنون «البليوجرافيا La Bibliographie»<sup>(١٨)</sup>، فإن موقف المدرسة الإنجليزية من هذه القضية وضحت معالمه، حينما بدأ وضع البليوجرافيات فى إطار أنظمة وتقنيات قوائم الكتب، وبدأ يشار إلى البليولوجى فى الإنتاج الفكرى للمجال، كعلم الكتاب، ولذا نجد أن المصادر اللغوية المعتمدة باللغة الإنجليزية - كصدى لهذه الاعتراف - بدأت فى تعريف البليولوجى، كعلم الكتاب، وقد ورد فى قاموس أكسفورد للغة الإنجليزية «OXFORD ENGLISH DICTIONARY» لعام ١٩٣٣م، تعريف للبليولوجى «كعلم الكتاب»<sup>(١٩)</sup>.

ولكن لا يمكن أن يفسر تطور البليولوجى خلال هذه الفترة الزمنية، على ضوء علاقته بالمفاهيم البليوجرافية والتقنيات المكتبية فقط، بل هناك معطيات علمية واجتماعية أخرى، أثرت على مساره خلال تلك الفترة، وكانت علاقة تلك المعطيات بتشكيل مفهوم البليولوجى على نفس

«veau Systeme Des Cannaisances Humaines» ،  
حيث فرق في جدولة موضوعية بين نوعين من  
الأنشطة:

أ - الأول يتعلق بالأعمال الأساسية (المصادر  
الأولية)، والأعمال الموسوعية (الشاملة)، والكتابة  
المنطقية Logographic. وهو ما أطلق عليه «المنظور  
الفلسفي للبيولوجي».

ب - الثاني يتعلق بتاريخ المكتبات، وتقنيات  
الطباعة، ومراكز توزيع الكتب بشقيها الأكاديمي  
والتجاري، والبيولوجيات وتقنيات معالجة  
المعلومات. وهو ما أسماه «بالمنظور المهني  
التطبيقي». وهو التصنيف الذي مازال يتبع إلى الآن  
في تقسيم الأنشطة المحيطة بالبيولوجي، مع بعض  
التعديلات التي تتناسب ومعطيات العصر. ولذا نجد  
أن هذا الرأي، هو بنفسه الذي تبناه ونادى ج.  
فاري G. VARET، في بداية النصف الثاني من  
القرن العشرين<sup>(٢١)</sup>. ويتبع خصاه ومسيرته علماء  
معاصرين أمثال: روبري سكاربييه R. ESCARPIT  
جون - ماريا J. MEYRIA، وريبر ستيفال R. ESTI-  
VALS وغيرهم.

اقتربت الثورة الفكرية والرؤى الفلسفية الجديدة  
في أوروبا في القرن التاسع عشر، بأخرى سياسية  
كان لها عميق الأثر في إعادة تشكيل الفكر  
السياسي بالمجتمعات الأوروبية، وبعد تأثير هاتين  
الثورتين المتزامتين، تأثيراً تبادلياً وتفاعلياً على  
بعضهما البعض، مما يجعل من الصعب معرفة أيهما  
كان له قصب السبق في الظهور والتأثير. والثورة  
الفرنسية خير مثال على ذلك فلازال الباحثون  
يقلبون الرأي فيما إذا كان لإنتشار الآراء الفلسفية  
والأفكار التحررية، هو الذي أدى إلى اندلاع الثورة،  
أم أن الثورة هي السبب في تولد الأفكار والفاهيم  
الفلسفية والتحريرية الجديدة. وأى كان الأمر، فإن

القدر من الأهمية التي تميزت بها المفاهيم  
البيولوجرافية، ويمكن القول بأن هذه المفاهيم  
كانت متعلقة - إلى حد كبير - بأبعاد علمية  
فلسفية، واجتماعية وسياسية، تميزت بها المجتمعات  
الأوربية، خلال القرن التاسع عشر اميلادى. ولذا  
فإن المحور الثاني سيتناول علاقة البيولوجي بهذه  
المفاهيم.

٤ / ١ / ٢ - المحور الثاني: البيولوجي / الرؤية  
الفلسفية / البعد السياسي

كان المناخ الفكرى في أوروبا في القرن التاسع  
عشر، موافقاً للخلق والإبداع العلمى والأفكار  
العقلانية، والتنظيم الشامل للمعرفة البشرية، وهو  
الأمر الذى أفرز بيئة مواتية لقيام الفلسفات النظرية  
الجديدة في جميع المجالات المعرفية، وانعكس هذا  
على البحوث في مجال البيولوجي في تلك الفترة،  
ومن ثم برزت محاولات الباحثين لخلق ارتباط مابين  
البيولوجي والمنظور النقدي الحديث للعلوم، أو ما  
يسمى بمبحث العلوم Epistemologie، أو نظرية  
المعرفة Epistemology مروراً بمرحلة المفاهيم  
البيولوجرافية. وفي هذا الصدد، نجد أن الباحثين  
طرحوا من خلال دراساتهم، أفكاراً ترمى إلى  
إكساب البيولوجرافيات صفة «السجل والتصنيف  
الشامل والعلمى للإنتاج الفكرى البشرى»، أما  
الكتاب، فيجسد من وجهة النظر الفلسفية العلمية  
«الذاكرة البشرية المدونة»، وقد حاولوا ربط تلك  
المفاهيم «بنظرية المعرفة»، ولذا فقد سعوا إلى إظهار  
البيولوجي كمنظور يجسد تلك المفاهيم الفلسفية،  
التي تربط ما بين الرؤية الموسوعية للعلوم وتطبيقاتها  
في المجتمع<sup>(٢٠)</sup>. وقد عبر عن ذلك جان - بير نومير  
Jean-Pierre NOMUR، المكتبي بجامعة لوفان،  
بفرنسا، عام ١٨٣٩م، في عمل له بعنوان مشروع  
لنظام جديد للمعرفة البشرية: «- Projct d'un Nou-

تفجر الثورة الفرنسية عام ١٨٤٨م، ورفعها لشعار «الحرية، الأخاء، المساواة»، كان له الفضل في إفراز الكثير من الأفكار التحررية وتصديرها إلى المجتمعات الأوروبية المجاورة، مما أدى إلى تغير المناخ السياسي بالمنطقة وخاصة وسط أوروبا، ودول البلقان، وتبع هذا التطور، تحرك سياسى لشعوب هذه المنطقة لتحرر من نير الاستعمار والهيمنة السياسية النمساوية والبروسية والروسية، وقد تنامت هذه الحركات السياسية وتعاضم دورها في القرن التاسع عشر. وبالرغم من أن الاستقلال يعد - حتماً - حركة سياسية عسكرية، إلا أن الحصول عليه يتطلب - أولاً - أن تثبت الأمم المُستعمرة عن طريق الأدلة والبراهين على وجودها الحضارى التقليد والمعاصر، وبالتالي كان يجب - في هذا الصدد - إثبات حيازتها للغة الحضارية (رموز الثقافة)، والأدب (الإنتاج الفكرى)، والتاريخ العريق (الحضارة المدونة)، وأن تؤكد بالوقائع الملموسة أن السياسة الثقافية الجائرة للمستعمر، قد طبقت خلال فترة الاستعمار السياسى، بغرض طمس رموز الثقافة الوطنية، ومسحها، بل ودمجها بثقافة المستعمر، لاجتثاث التاريخ الوطنى للبلاد من جذوره، واستئصال الماضى الثقافى للأمة، لتمحو الهوية القومية.

وتزعم هذه الانتفاضات الثقافية فى مجتمعات القرن التاسع عشر، رجال الدين والطبقات البرجوازية الوطنية المثقفة. وبدأ فى تدعيم الحركات الثقافية الأصولية، أو التأصيل الثقافى الوطنى، بإنشاء المؤسسات الثقافية الوطنية، والمتاحف الوطنية، ودور الوثائق والمكتبات الوطنية... الخ. وبدأ مثقفو وصقوة المجتمع من المتعلمين والعلماء والباحثين، يجوبون أنحاء البلاد بل وأرجاء المعمورة، بحثاً عن الموروثات الثقافية الوطنية المكتوبة والمدونة، والتي نهبت

وسُرقت أبان فترة الاستعمار، للاستعانة بها، كأدلة دامغة على وجود حضارات وثقافات أصيلة، وتاريخ عريق لبلادهم يمتد عبر الأزمنة والعصور، وحتى ما قبل تاريخ وحضارات الدول التى استعمرتهم. وقد جمعوا من هذا الكثير وانكبوا على دراسته وتحليله. وهنا يبرز دور الببليولوجى كوسيط للثورة السياسية الثقافية والفكرية المناهضة للاستعمار السياسى، ويمكن وصف هذا هذا التوجه، بالعمل السياسى من خلال الأنشطة الببليولوجية<sup>(٢٢)</sup>. واستمر هذا الاتجاه منذ هذه الفترة وحتى الحرب العالمية الأولى - بدرجات متفاوتة - فى المجتمعات الأوروبية، وخاصة فى شرق أوروبا، فى البلاد التشيكية، والسولفاكية، ورومانيا، والمجر، وبلغاريا، وبولندا، وحتى فنلندا. وتعاضم هذه الاتجاه قبيل الحرب العالمية الثانية، ليشمل بلدان العالم الثالث، وتزامن مع حركات التحرر والتطلع إلى الاستقلال فى هذه البلدان. وانعكس هذا على كثير من الأعمال والبحوث الثقافية والأكاديمية والعلمية للدارسين والباحثين والعلماء من العالم الثالث، حيث تناولوا وعالجوا الموضوعات التاريخية والثقافية والتراثية والعلمية فى أعمالهم المنشورة وغير المنشورة، ومن خلال المؤتمرات والندوات المتخصصة<sup>(٢٣)</sup>.

ونستخلص من هذا السرد التحليلى، أن الببليولوجى كجوهر وتجسيد لمفاهيم الاتصال المكتوب فى المجتمع، كان له دور فى دفع حركات الاستقلال والتحرر، وكما نرى فإن التفكير فى الاستقلال السياسى، يبدأ ويتزامن مع البحث عن الأصول التاريخية والموروثات الثقافية، التى عادة ما تكون على شكل وثائق مكتوبة بأشكالها القديمة والحديثة، وهى تمثل الوعاء المادى للاتصال المكتوب. وتمثل هذه الأبحاث الببليولوجية الأساس المعنوى والفكرى، بل الوقود المادى والحسى الذى

يصبه الزعماء والمفكرون الوطنيون، والكوادر الوطنية المثقفة والمؤهلة، في شرايين الأمة، لإثارة حماسها، وتنويرها بترائثها العريق وثقافتها التليدة لدفعها للثورة ضد المستعمر، وفي مرحلة لاحقة للتخلص من الآثار السياسية والثقافية والنفسية التي ترتبت على فترة الاستعمار. وبمعنى آخر، فإن الثورة السياسية ترتكز على دعائم الثورة الفكرية الثقافية، والتي يعد أحد دعوماتها الرئيسية البحث البيبليولوجي.

٢/٤ - المرحلة الثانية: بداية التأصل والاستقرار العلمي: بداية القرن العشرين

٤ / ٢ / ١ - المحور الأول: المنظور النظامي للبيبولوجى وعلم الوثائق لبول أوتليه P.OTLET

من الواضح أن المفهوم السياسى للبيبولوجى، الذى تبلور فى نهاية القرن التاسع عشر، انعكس على المفهوم العام له، وأضاف إليه معطيات جديدة، بدأ بها مسيرته فى القرن العشرين، وكان التوجه هذه المرة يرمى إلى وضع البيبولوجى فى إطار العلم الذى يتعامل مع الوسائط الكتابية بكل أشكالها، وليس على أنه علم الكتاب فقط، وبمعنى آخر محاولة التوسع فى مفهوم البيبولوجى ليشتمل مجال الكتابة بالكامل. وهذا هو المفهوم الذى بدأت به مسيرة البيبولوجى فى القرن العشرين، وإن لم يتحقق، إلا فى النصف الثانى منه.

يعد بول أوتليه Paul OTLET، العالم البيبولوجرافى البلجيكي - بحق - هو قائد ورائد هذه المسيرة، فهو الذى «أخذ على عاتقه منذ عام ١٨٨٨، الاهتمام بقضية البيبولوجرافيا العالمية... وظور مع زميله أوينسكى IWINSKI، الإحصاء الاسترجاعى العالمى للمطبوعات، وهو أول من ابتكر مصطلح البيبومتري واستخدامه بمفهومه الحديث»<sup>(٢٤)</sup>... ووضع أسس التصنيف العشرى

العالمى، على ضوء تصنيف ديوى العشرى الأمريكى، كما كان وراء الجهود لإنشاء المعهد الدولى للبيبولوجرافيا - Institut International de Bibliographie، الذى تحول فيما بعد إلى المنظمة الدولية للتوثيق Federation de Documentation FID، ومؤسس متحف الكتاب فى بروكسل «La Mun-daneum»<sup>(٢٥)</sup>.

ولكن مجهودات بول أوتليه P.OTLET، لم تقتصر فقط على مجال البيبولوجرافيا العالمية، بل امتدت لتشمل نظرية البيبولوجى، بداية بعرض لهذه القضية ما بين السنوات ١٩٠١ - ١٩٠٣ (٢٦). وحتى عام ١٩٣٤ - قبيل وفاته بعشر سنوات - وعندما تنشر عمله الشهير «معالجة مجموعات الوثائق: الكتاب عن الكتاب: النظرية والتطبيق»<sup>(٢٧)</sup>.

وقد دون أوتليه OTLET، فى هذا العمل الضخم، الأعمال الأكاديمية والعلمية الأولى فى مجال البيبولوجى، والتي صدرت عن مختلف الأقطار الأوروبية منذ نهاية القرن التاسع عشر، ويعد عمله - المتميز - هذا، والذى اختتم به قائمة أعماله الأكاديمية الكبرى وحياته العلمية الحافلة، المرجع الرئيسى - حتى وقتنا الحالى - لكل من يود أن يتعرض لدراسة البيبولوجى، مما حدى بكثير من الباحثين إلى عرضه وتلخيصه فى العديد من أعمالهم العلمية المنشورة. وتم ذكر فضل هذا العمل على مجال البيبولوجى خلال الندوات الدولية للبيبولوجى، التى عقدت فى تونس عام ١٩٨٨، والتي تقرر فيها إنشاء «الجمعية الدولية للبيبولوجى - L' Association International de Bibliologie»، بإصدار توصية بإعادة طبع مؤلف أوتليه، استجابة لرغبة باحثى المجال وتقديراً لأوتليه وعمله المرجعى الهام.

وقد قدم أوتليه OTLET فى عمله، نظريته الخاصة بالبيبلولوجى والتي أطلق عليها La Systemique Bibliologique المنظور النظامى للبيبلولوجى. وبدأ شرح هذا المنظور، من خلال رؤيته التنظيرية، بتطبيق «نظرية المراحل التاريخية للعلوم» لتفسير نشأة البيبلولوجى (٢٨) وتعرض لمناقشة أهدافه وأسه العامة، وحلل العوامل والمفردات التى يقوم عليها المنظور النظامى. واستعرض كل نتائجها التى حصل عليها من خلال الدراسات التى قام بها خلال فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية (وهى الفترة التى أنتج خلالها معظم كتاباته حول هذا الموضوع). وقام أوتليه بتعريف البيبلولوجى على أنه:

"Une Science generale embrassant l'ensemble systematique classe des donnees relatives a la production, la conservation, la circulation et l'utilisation des ecrits et des documents de toute espece. Cette Science Conduisait les esprits a reflechir plus Profondement aux diverses disciplines particulieres du livre"<sup>(٢٩)</sup>

[هو ذلك العلم الشامل الذى يحيط بمجموعات البيانات المصنفة والمرتبة، المتعلقة بإنتاج وحفظ وتوزيع، واستخدام الكتابة، والوثائق المكتوبة بثتى ضرورها ويقود - هذا العلم - إل التفكير والتأمل المتعمق فى شتى الموضوعات التى تختص بالكتاب].

ولأبعد الكتاب - من وجهة نظر أوتليه OT-LET - الهدف الأوحده أو المحور المنفرد الذى يدور حوله البيبلولوجى، فقد طرح فى علمه، كل الوسائط الأخرى البديلة للكتاب، والتى كانت معروفة فى ذلك الوقت، كالصور والشفافات، والأفلام... الخ. وتعرض بالشرح لهذه الوسائط

فى واقع الأمر، أن استرسلنا فى سرد منجزات وأعمال أوتليه OTLET، ليس الغرض منها استعراض السيرة الذاتية للعالم الشهير، ولا لتعدد أفضاله على مجال البيبلولوجى - كما قد يتراءى للبعض - بل أن غرضنا من ذلك، هو إظهار صورة واضحة مكتملة المعالم - إلى حد ما - لهذا العالم، الذى فجر قضية القرن العشرين فى مجال البيبلولوجى، والتى دارت حولها غالبية البحوث - إن لم يكن كلها - التى تناولت هذا العلم، منذ بداية القرن العشرين وحتى ما بعد الحرب العالمية الثانية، ومن يبحث فى هذا المجال، يجد أنه من غير الممكن - بل من المستحيل - أن يتحدث عن مسار وتطور تاريخ البيبلولوجى، بدون التعرض لتاريخ وكتابات أوتليه OTLET، فالبيبلولوجى الحديث يعنى أوتليه OTLET والعكس صحيح.

كما أسلفنا فقد تعرض أوتليه OTLET فى عمله الذى نشره عام ١٩٣٤م، لقضيتين فى غاية الأهمية، حددتا مسار البيبلولوجى فى السنوات اللاحقة.

**القضية الأولى** كانت تتعلق برؤية أوتليه OT-LET فى المفاهيم التى طرحت حول البيبلولوجى منذ نشأته فى بداية القرن التاسع عشر، وقد قام أوتليه فى عمله، بدراسة نقدية لأعمال ج. بينو G. PEIGNOT الرائد الأول للبيبلولوجى، ومعاصريه، حيث أشار أن الرؤية لديهم فيما يتعلق بالكتاب والوثيقة المطبوعة كانت رؤية واضحة للغاية. وخاصة لدى بينو PEIGNOT، والتى وضحت فى كتاباته التى نشرها فى بداية القرن التاسع عشر. وعلى العكس تماماً فإن الرؤية فيما يخص البيبلولوجى كانت محدودة ومختصرة، وكان أولى بأن تعالج بقدر أكبر من الأهمية، لأنها تمثل - بالفعل - القضية الأساسية ذات الأهمية القصوى لهذا المجال.

والتحليل والتحقيق والنشر... الخ.؟، أم يؤخذ من جانب التوثيق للوثيقة لتعامل في هذا الصدد مع الأنشطة والتقنيات التوثيقية من جمع وتصنيف ومعالجة (فهرسة وتكشيف) وحفظ واحتزان واسترجاع... الخ.، وقد أوجت كتابات أوليه OTLET حول هذا الموضوع سواء من زاوية مستوى تناول أو عن طريق الإيحاء المباشر، بضرورة التوسع في الكتابات والدراسات والبحوث: حول معضلة «الكتاب»، «الوثيقة» و «التوثيق» وجميع الوسائط الكتابية الأخرى.

وبذلك فتح أوليه OTLET آفاقاً جديدة، وأضاف أبعاداً أخرى إلى قضية البيبليولوجي، بطرحه لرؤيته المتعلقة بعلم الوثائق والتوثيق، مما أدى إلى أحداث المزيد من المناقشات النظرية بعد دخول هذه المتغيرات الجديدة، وتوسعت دائرة النقاش لتشمل علم الوثائق، والتوثيق وعلاقتها بالبيبليولوجي والبيبلوجرافيا، في محاولات أكاديمية نظرية للفصل ما بين هذه المفاهيم، وإيجاد العلاقات «المتوازنة» بين تلك العلوم المتوازنة والمتقاربة إلى حد بعيد في مفاهيمها.

وبجانب قيام أوليه OTLET، كما أسلفنا - بإيجاد القاعدة الأساسية للأطر العلمية للبيبليولوجي، ووضع أساسه النظرى ومناهجه البحثية، وأسس تطبيق المناهج الإحصائية على الظواهر والأنشطة المعنية والاجتماعية المحيطة بالكتاب (البيبليومترى). فقد قام أوليه OTLET، بدراسة العلاقات بين البيبليولوجي، والمجالات العلمية القائمة، وقد أوضح في كتاباته بأن الكتاب الذى يعد أحد المحاور الأساسية - وإن لم يكن الوحيد - فى علم البيبليولوجي، يمكن أيضاً أن يدرس ويحلل من خلال مناظير علمية، لأنظمة علمية مختلفة، كالمناظير اللغوى، المنطق، علم النفس، والمناظور

كقرين للكتاب، وكأوعية معلومات تتوازي مع الكتاب من حيث أهميتها كأوعية حاملة للمعرفة. تلك كانت القضية الأولى التى تعرض لها أوليه OTLET فى عمله والتى أوضحت رؤيته فيما يخص التوسع فى المفاهيم المتعلقة بالبيبليولوجي، ليشمل كافة أنواع الوثائق المكتوبة، بجانب وضعه للأسس النظرية العلمية للبيبليولوجي، وإبرازه كعلم له أساسه النظرى، ومناهجه البحثية، وتطبيقاته العملية.

أما القضية الثانية التى أثارها أوليه OTLET، فكانت مسألة اختلاط مفاهيم البيبليولوجي بعلم الوثائق. وقد وضع هذا التداخل، حتى فى التركيب اللفظى للمصطلحات التى تستخدم للتعبير عن هذين العلمين، فالأول Bibliologie والثانى Docu-mentologie، وكما هو ملاحظ فالمصطلحان مركبان - كما هو مألوف فى مثل هذه المصطلحات - ومكونان من لفظين، فإذا استثنينا الشق الثانى وهو Logie والذى يعبر عن صفة العلم، وهو لاحقة طبيعية فى كل المصطلحات التى تعبر عن العلوم، نجد أن أوجه التداخل تتركز فى الشق الأول، Biblio وتعنى كتاب، - وقد تعرضنا لشرحها سابقاً -، و Document وتعنى وثيقة مكتوبة أو مطبوعة، التساؤل هنا ما الفرق بين الكتاب والوثيقة المكتوبة أو المطبوعة؟ وهل الكتاب لا يعد وثيقة؟ - وإذا كان كذلك فما هو الفرق بين العلم الذى يتعامل مع «وثيقة الكتاب» والعلم الذى يتعامل مع علم الوثائق ككل. وإذا لم يصنف الكتاب كوثيقة مطبوعة أو مكتوبة؟ - فبماذا يصنف إذا؟ . هذا بجانب تساؤلات أخرى تختص بمصطلح Documentologie، وكيفية تفسيره والتعامل معه، فمثلاً، هل يؤخذ هذا العلم من زاوية تعامله مع شكل وطبيعة الوثيقة، وتحليلها مادياً وموضوعياً، ويدخل فى ذلك مفاهيم الفحص



التقنى، والاجتماعى، والسياسى، والاقتصادى... الخ. وقد أعطى أمثلة كثيرة حول هذه الفرضية، نورد منها ما يتعلق بعلم اللغة، وقد مثل هذه العلاقة بمنظور أطلق عليه فقه اللغة البيبليولوجى أو علم دراسة النصوص البيبليولوجى LA PHILOLOGIE BIBLIOLOGIQUE، واعتبر هذا المنظور أحد المناظير المتفرعة من النظرية العامة للبيبليولوجى، وقد عبر قائلاً:

[العلاقات بين البيبليولوجى واللغة تتشكل فيما يمكن أن نطلق عليه فقه اللغة البيبليولوجى] (٣٠).

أشار أوتليه أيضاً فى كتاباته بأنه من المعارضين لدراسة البيبليولوجى من خلال أنظمة أو إجراءات تمثلها حلقات منفصلة أو ما كان يسمى بنظام السلاسل Chaîne وإنما يفضل إجراء دراسته من خلال نظام شمولى مترابط ومتفاعل La bibliologie-systemique، ولذا فقد استند فى رؤيته على تحليل مفردات النظام البيبليولوجى ودمجه كنظام فرعى فى النظام الشامل. وقد عبر عن ذلك من خلال تعريفه للبيبليوجرافيات بأنها:

[البيبليوجرافيا، هى وصف للحقائق عبر الأزمنة، أو تاريخ الحقائق عبر العصور، أو دراسة مقارنة للأعمال المكتوبة] (٣١).

لم يكن أوتليه OTLET، العالم الأوروبى الوحيد الذى قام بمجهود لتأصيل مفاهيم هذا العلم فى خلال الفترة من نهاية القرن التاسع عشر إلى قبيل منتصف القرن العشرين، بل تزامن معه فى هذه الفترة العديد من العلماء الأوربيين الذين ساهموا بكتاباتهم النظرية، وبحوثهم الأكاديمية فى إرساء قواعد هذا المجال العلمى. فبينما كان أوتليه OTLET، يحاول التعامل مع المفاهيم والأطر التجريدية والنظرية الشمولية للبيبليولوجى، كان هناك علماء

آخرون يتناولون هذا الموضوع بمنهجية تفصيلية من خلال دراسة مفاهيم المفردات التى تشكل هذا العلم، ومحاولة تحليل العلاقات التى تربط ما بينها للوصول فى النهاية إلى تجميع المفردات والأجزاء وتنسيقها، بحيث يتمكنوا من تكوين صورة لنظام متكامل لهذا العلم، وهذه المحاولات أخذت توجهات وأنماط بحثية شتى، وقد رأيت أن تكون تلك الجهود والمحاولات، موضوع محورى التالى لهذه المرحلة من التطور التاريخى للبيبليولوجى.

#### ٤ / ٢ / ٢ - المحور الثانى: جهود نالعلماء الأوربيين فى تأصيل مفاهيم مناهج بحث البيبليولوجى

كانت الرؤية المنهجية للبيبليولوجى، محور اهتمام عدد من العلماء الأوربيين، حيث جسدت المدرسة الفكرية الأوروبية هذه الرؤية من خلال العديد من البحوث والدراسات التى نشرت حول هذا الموضوع، ومن أوائل المحاولات، تلك التى قام بها - منفرداً أو بالاشتراك مع أوتليه - العالم البولندى أيونىسكى IWINSKI، وذلك من خلال كتاباته منذ نهاية القرن التاسع عشر، للتعريف بمناهج البحث الإحصائى للإنتاج الفكرى العالمى. وقد نشر أعماله التى تضمنت نتائج دراساته حول هذا الموضوع، فى سلسلة من المقالات فى دورية «حقوق المؤلف Droit d'auteur»، وقد شاركه فى هذه الجهود العالم السويسرى روثليسبيرجر ROTH LISBERGER، الذى ساهم فى تدعيم هذه المناهج الإحصائية عن طريق نشره للإحصاءات العالمية الجارية لتغطية الإنتاج الفكرى العالمى سنوياً، مما فتح المنافذ أمام الجهود النظرية لوضع الفروض البحثية والنظريات العلمية، حول تداول المعلومات المكتوبة على مستوى المجالات المعرفية المختلفة، وتواصلت الجهود البحثية فى هذا الاتجاه الإحصائى عن طريق علماء

آخرين أمثال الفرنسي ج. مينثا J.MENTHA إلى مابعد الحرب العالمية الثانية - ومن خلال هذه الرؤى المنهجية بدأت صورة تاريخ الكتاب وآلية تداوله تتضح شيئاً فشيئاً.

وفي توجهه بحثي آخر، حول تأصيل المناهج الإحصائية في مجال البيولوجي قام العالم الفرنسي لوسيان مارش Lucien MARCH، في الثلاثينيات من هذا القرن ومن خلال أنشطة «المعهد الدولي للتعاون الفكري- Institut International de Coopera- tion Intellectuelle» - الذي كان يقوم آنذاك بدور مشابهه للدور الذي تلعبه الآن «المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم: UNESCO» - بوضع التصور للشكل المنهجي للإحصاء المقارن للبيولوجي، وكيفية تطبيقه على المستوى العالمي.

كما كان لجهود العالمين البولنديين موزكوفسكي RULLKOW<sup>(٣٢)</sup> و روليكوفسكي MUSKOWSKI، الأثر الكبير في تعضيد هذا التوجه، بكتابتهما النظرية حول هذا الموضوع، ويرجع إليهما الفضل في إعطاء تلك المناهج دفعة قوية، مما أدى الاعتراف بها كمناهج علمية معتمدة في هذا المجال، وأسفرت تلك الجهود في نهاية الأمر، إلى تبنى اليونسكو، لتلك المناهج الإحصائية المقارنة للإنتاج الفكري العالمي، واستخدامها في جميع أنشطتها المتعلقة بهذا المجال، عند إنشاء هذه المنظمة بعد الحرب العالمية الثانية. وعلى صعيد آخر نجد العالم الفرنسي فرانسوا جفال<sup>(٣٣)</sup> FRANCAIS JAVAL قد قام بجهود نحو تأصيل المفاهيم التي تربط ما بين البيولوجي والعلوم الانسانية والاجتماعية، وتعبير آخر كانت بحوثه تركز على أحد مفاهيم المنظور النظامي للبيولوجي - الذي نادى به أوتليه - وفي هذا الصدد، كانت دراساته وبحوثه تتعلق بالمنظور الفزيولوجي (العضوي)، والسيكولوجي (النفسي) للقراءة والكتابة<sup>(٣٤)</sup>. وتدعيماً لنفس التوجه البحثي،

قام نيكولاس روبكين Nikolas Roukine، في عمله الذي نشر عام ١٩٢٢، بعنوان «مقدمة لمنظور علم النفس في إنتاج وتوزيع تداول الكتب»، بدراسة العلاقة ما بين إنتاج الكتب، والعادات القرائية، وتأثيرها على تشكيل مفاهيم وسلوكيات القراء، وارتباط ذلك بتكون التيارات والمدارس والفكرية والعقائدية في المجتمعات المختلفة. وكان بكتاباته هذه يفتح المجال أمام التطور الذي طرأ على مفهوم البيولوجي ليتحول من علم الكتاب «إلى علم الكتابة» «والاتصال المكتوب».

أما الكتابات عن التاريخ الاجتماعي لظاهرة القراءة كأحد مفردات النظام البيولوجي عن طريق استخدام المناهج الإحصائية للدراسة والتحليل، فقد كان محور كتابات دانييل مورنيت Daniel Morent، منذ بداية القرن العشرين<sup>(٣٥)</sup>. أما العالمان لويجين LOWIAGIN، وليسكوفسكي LISOVSKI، فقد كانا يمثلان المدرسة الفكرية البيولوجية الروسية، وقد بدأ اهتمامهما بهذا المجال منذ نهاية القرن التاسع عشر (١٨٨٨)، حيث قاما بدراسة وتحليل وتطوير نظريات ومناهج حول البيولوجي كعلم للكتاب، في إطار رؤية تاريخية اجتماعية، وقد أشار إلى ذلك موزكوفسكي في بحثه «حول الإحصائيات العالمية للمطبوعات: Sur la Statistique International des Imprimeres» الذي قدمه كورقة عمل في المؤتمر الدولي للمكتبيين الذي عقد في براغ، عام ١٩٢٦<sup>(٣٦)</sup>.

نخلص من العرض السابق أن الفترة التي تقع ما بين نهاية القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، تمثل فترة اهتمام بمجال المعلومات المكتوبة، وتتميز بتطور مطرد في المفاهيم والتطبيقات البيولوجرافية، وتقنيات التوثيق، وعلم الوثائق، ونظريات الاتصال، وظهور وسائط أخرى للمعلومات

الشرعية الأكاديمية على الممارسات المهنية التي يقومون بها، مما أدى إلى ظهور البيولوجي كدعامة نظرية تستند عليها كل تطبيقات المجال. لذا نجد، أن البيولوجي - BIBLIOLOGY / BIBLIOLOGIE، الذي بدأت نشأته في بداية القرن التاسع عشر، عن طريق علاقته بالبيولوجرافيات - BIBLIOGRAPHY / BIBLIOGRAPHIE، ثم بالمنظور النظامي الشمولي SYSTEMIQUE BIBLIOLOGIQUE، الذي طرحه أوتليه OTLET، بجانب فتحه لملف علم الوثائق - DOCUMENTOLOGY / DOCUMENTOLOGY، كبعْد جديد للرؤية النظرية، والذي تزامن مع ظهور الكتابات والمناقشات حول نظريات وعلوم الاتصال - COMMUNICOLOGY / COMMUNICOLOGY، وبالجهود التي قام بها علماء المجال الأوروبيون، والتي شملت المجالات النظرية، والأبعاد التاريخية والاجتماعية، والمناهج البحثية الإحصائية، برز علم البيولوجي على الخريطة العلمية الأوروبية، وإن تطلب هذا الأمر العديد من السنوات حتى تمكن هذا العلم من احتلال مكانته بين علوم المعلومات والاتصال المكتوبة، وإن كان مؤسسة ورائده في العصر الحديث بول أوتليه P. OTLET، الذي توفي عام ١٩٤٤، لم يعاصر إلا بدايات هذه المؤشرات التي ظهرت نتاجها في النصف الثاني من هذا القرن.

كان لقيام الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ / ١٩٤٤، الأثر الكبرى في ركود الكثير من الأنشطة العلمية في مجالات العلوم الانسانية والاجتماعية، وخاصة فيما يتعلق بالجوانب النظرية و الأكاديمية لهذه العلوم، وذلك نتيجة للظروف التي صاحبت هذه الحرب، والتوجهات المحلية والإقليمية والدولية، نحو تغذية وتطوير المؤسسات العسكرية، والتركيز على الجوانب العلمية والتقنية الموجهة لتدعيم المجالات

خلاف المواد المطبوعة الدورية منها وغير الدورية، وكانت الكتابات العلمية والأكاديمية التي تدور حول تلك المتغيرات في مجال المعرفة المكتوبة، سواء ما يختص منها بالمفاهيم أو بالأشكال المنتجة، تتفق في محاورها المتعلقة بالمبادئ الأساسية على أهمية هذه التطورات الجديدة وضرورتها، إلا أنها كانت تتباين في كثير من الأحيان - حول الأنظمة والنماذج العلمية التي يجب اتباعها لتحقيق التطور المنشود، وأدى هذا كله إلى حدوث الكثير من الضغوط على العاملين والمتسبين إل المجال العلمي الأكاديمي والمهني للمعلومات، لمواكبة هذا التطور السريع، لإيجاد صيغة علمية مناسبة، وموقع علمي معترف به، خاصة وأن الأنظمة والمجالات العلمية الأخرى كانت تتطور بصورة مطردة وسريعة، وتأخذ مكانها على الخريطة العلمية، وما كان مجال المعلومات والاتصالات المكتوبة أن يتخلف عن هذه الظاهرة العلمية. وهنا برز دور الكتابات والبحوث النظرية لخصائص المجال كأوتلية OTLET (البليجكي)، أيونسكي IWINSKI (البولندي)، روتليزبيرجر ROTH LISBERGER (السويسري)، موزكوفسكي ورولكوفسكي MUSZKOWSKI و رولكوفسكي RULLKOWSKI (البولنديين)، روبكن ROUBKIN و مورنيت MORNET ومارس MARCH و جافال JAVAL (الفرنسيون)، ويندهام WENDHAM (الانجليزي)، ولويجين LOWIAGIN وليموفسكي LISOVSKI (الروسيان)، وغيرهم من علماء أوروبا، في بلورة المفاهيم التطبيقية والممارسات المهنية للمجال (كالبيولوجرافيا، وتقنيات المكتبات، والتوثيق... الخ)، ووضعها في إطار علمي وأكاديمي، والتي وجد فيها العاملون في المجال والمنتمون إليه، حلاً مثالياً للوصول بمجال تخصصهم إلى الآفاق العلمية المطلوبة، وإضفاء

العسكرية، وآلية اقتصاديات الحرب، واستمرت هذه الفترة حتى قبيل منتصف القرن العشرين: حيث كان المجتمع الدولي في حاجة إلى بضع سنوات - بعد إعلان السلام - لاستعادة توازنه الطبيعي، ولكي يعيد تشكيل الرؤى والمفاهيم، ويحاول التقليل من آثار الدمار المادى والمعنوى الذى أصاب البشرية خلال تلك الفترة العصبية، ويبدأ بوضع أسس بناء مجتمعات ما بعد الحرب. ومن الطبيعى أن تتأثر الجهود والكتابات والدراسات والبحوث لمجال الببليولوجى بهذه المعطيات الدولية، كمثيلاتها من مجالات العلوم الاجتماعية والانسانية، وكان لابد لها بأن تدخل فيما يمكن أن يوصف «بالسبات العلمى» - إذا صح التعبير -، وتجمدت - بالتالى - الأنشطة والجهود التى قام بها علماء المجال خلال الفترات السابقة، من بداية القرن التاسع عشر إلى بداية الحرب العالمية الثانية، وبهذا دخلت المفاهيم المصاحبة لهذه الجهود مرحلة «التجمد العلمى» لحين إشعار آخر.

وبدأت مرحلة جديدة، حيث شهد النصف الثانى من القرن العشرين بداية استقرار المفاهيم حول الببليولوجى، كأحد العلوم المتفرعة من «علوم المعلومات والاتصالات Sciences de l'Information et de la Communication»، وكثرت الكتابات حول هذا العلم وتعددت، بحيث أصبح حقيقة واقعة لا يمكن تجاهلها فى المجالات العلمية والأكاديمية الأوروبية، وستكون تلك المرحلة هى محطتنا التحليلية التالية فى التأريخ للببليولوجى.

### ٣/٤ - المرحلة الثالثة: بداية الاستقرار العلمى: النصف الثانى من القرن العشرين

يمكن تحديد عدة محاور زمنية، تمثل فى مجموعها المنعطف الجديد لتأريخ الببليولوجى فى

مجتمعات ما بعد الحرب، يبدأ أولها قبيل منتصف القرن ويمتد إلى نهاية العقد السابع، حيث يلتحم زمنياً مع المحور التالى، الذى يغطى فترة السبعينات. وحتى قبيل انتهاء العقد التاسع. أما المحور الثالث فيؤرخ له من عام ١٩٨٨، تاريخ بداية إنشاء «الجمعية الدولية للببليولوجى / L'Association International de Bibliologie» وهو الإنجاز الذى تجسدت فيه - إلى حد كبير - طموحات العاملين فى المجال والمنتسبين إليه، وهى تلك الجمعية، التى أخذت على عاتقها منذ إنشائها رعاية هذا العلم واحتضانه وإضفاء الشرعية العلمية الدولية على أنشطته الأكاديمية والعلمية والبحثية، والتعريف به بين الأوساط العممية والدولية من خلال برنامج عمل دولى طموح.

### ١/٣/٤ - مجتمع، جيل، مفهوم: جديد. نهاية العقد الخامس / بداية العقد السابع

شهدت الفترة ما بين قبيل منتصف نحو القرن العشرين وبداية العقد الثامن منه، تحركاً جديداً لإعادة الاهتمام بالببليولوجى كمصطلح وعلم له نظرياته ومناهجه وتطبيقاته العملية، ليأخذ أبعاداً ومفاهيم جديدة، كنتيجة طبيعية لتغيير الكثير من المفاهيم التى تأثرت - بل - وانقلبت رأساً على عقب، من جراء نتائج الحرب العالمية الثانية، التى ظهرت آثارها واضحة على كل المجالات العممية والأكاديمية المعروفة آنذاك، وكان من نتائجها، اختفاء مفاهيم علمية، وظهور أخرى جديدة، واندماج بعضها وانفصال البعض الآخر، وظهور بعض العلوم الجديدة وانزواء البعض الآخر على الخريطة العلمية، وانسلاخ علوم وأنظمة من أخرى قائمة بالفعل، وفى خضم هذه المتغيرات العلمية الهائلة، وتفجر الكثير من القضايا والرؤى العلمية، لمراجعة المفاهيم التى كانت

TIVALS<sup>(٣٨)</sup> (الذى أُنْتُخِبَ فيما بعد رئيساً للجمعية الدولية للبيبلولوجى).

وتوسعت الكتابات فى مجال البيبلولوجى، لتشمل شتى ضروب ارتباطاته مع المعطيات الاجتماعية العصرية، فنجد الكتابات حول البيبلولوجى الاقتصادى، والسياسى، والتعليمى، والثقافى... الخ.، التى حاول من خلالها الباحثون أمثال روبر اسكاربيه R. ESCARPIT، وجون ماريا J. MEYRIA وروبير استيفال R. ESTIVALS، الربط ما بين وسائل الاتصال المكتوب والظواهر الاجتماعية لمجتمعات ما بعد الحرب.

٤/٣/٢ - المحور الثانى: الانتشار الأكاديمى.. ولكن... «علم الكتاب، أم «علم الكتابة» بداية العقد الثامن / بداية العقد التاسع

تجمعت كل الظروف العلمية والأكاديمية والاجتماعية، فى هذا العقد من الزمان، لكى يبدأ البيبلولوجى مساراً آخر، برؤية جديدة تتغير بها مفاهيم التعامل مع هذا العلم. ولا يعد هذا بالأمر المستغرب فى مجال العلوم التى لم تستقر مفاهيمها - بعد - بشكل نهائى، فالقائمون عليها فى حالة بحث دائم عن مسارات جديدة، ومحاوِر إضافية يحاولون من خلالها تطوير مفاهيمها ودفعها إلى قمة الهرم العلمى.

تميزت هذه الفترة بتطور كبير فى مجال المعلومات والاتصالات، حيث بدأت وسائل الاتصال تأخذ أبعاداً حضارية جديدة، بدخولها فى عصر التطبيقات التكنولوجية المتطورة لعوالم الحاسبات الآلية والتقنيات المستحدثة فى مجال إنتاج أوعية المعلومات المطبوعة وغير المطبوعة، مما أفرز وسائل حديثة ومتطورة أثرت بشكل إيجابى على قنوات الاتصال الاجتماعى بكل ضروبه وأشكاله. وبالتالي

سائدة فى فترة ما قبل الحرب. ظهر جيل جديد من علماء البيبلولوجى الأوربيين، أخذ على كاهله مسؤولية نفص الغبار عن المفاهيم التى ارتبطت بهذا المجال قبل الحرب: وبدأ فى ربطها بمعطيات العصر الجديد، وأخذت بحوثهم ودراساتهم، مساراً يتسم بالمعالجة المنهجية العلمية - سواء على مستوى المفاهيم المرتبطة بهذا العلم (التنظير) أو فيما يخص المفردات التى تشكل النظام البيبلولوجى (التطبيق) - على ضوء الرؤية العلمية للمجتمعات الجديدة.

وفى هذا الصدد، نجد أن الكتابات فى هذه الفترة عالجت الجوانب الاجتماعية والنفسية للبيبلولوجى فى إطار بحوث ودراسات، أعادت النظر فى المفاهيم المتصلة بالمعطيات التاريخية التى تفسر ظواهر هذا العلم ومفردات نظامه، وقد تصدى لهذه القضايا عدداً من العلماء، أمثلت دومازيديه DOMAZEDIER، هاسينفورديه HAS-SENFORDERN، ن. روبين N. ROBINE وروبير اسكاربيه R. ESCARPIT، صاحب العمل الشهير «ثورة الكتاب La revolution du livre»، الذى ترجم إلى عدة لغات منها اللغة العربية<sup>(٣٧)</sup>. كما تناولت كتابات تلك المرحلة - أيضاً - المنظور التطبيقي وعلاقته بالمنظور الاجتماعى للبيبلولوجى، من خلال رؤية نظامية شمولية تتناول أنشطة الإبداع الفكرى، والنشر، والتوزيع، وتقنيات المعالجة والتحليل والتخزين والاسترجاع والبت للمعلومات المكتوبة، ومراجعة مناهج البحث الإحصائى للمجال (البيليومتري)، على ضوء ما طرأ من تطورات تقنية وعلمية غيرت من مفاهيم هذا المجال التخصصى وتطبيقاته الجديدة، ويذكر فى هذا الصدد علماء مثل ف. زولتوويسكى V. ZOLTOWSKI، م. جيرتوويسكا M. CZERNOWSKA، ه. ج. مارتان H. J. MERTTIN وروبير استيفال R. ESTI-

على المجالات العلمية والدراسية والأكاديمية المتصلة بهذه التقنيات والأوعية المعلوماتية والاتصالية، الأمر الذى حتم على القائمين عليها ضرورة الاستجابة الفورية لهذه المعطيات العصرية، باستحداث مسارات دراسية جديدة، سواء على مستوى التعليم الجامعى، أو الدراسات العليا. فى مؤسسات التعليم العالى، فى التخصصات المتصلة بعلوم المعلومات والاتصالات، كنتيجة حتمية لذلك، بدأ البحث العلمى المتخصص فى هذا المجال يأخذ أبعاداً جديدة تتماشى مع هذه الظفرة.

هذا التطور الذى حدث فى المجال الأكاديمى لعلوم المعلومات والاتصالات، أوجب إعادة الرؤية فى الدراسات والبحوث حول أوعية المعلومات المطبوعة بأشكالها المتنوعة، ووضعها فى إطار جديد تماماً يتماشى مع المتغيرات الحديثة، وبدأت بالفعل محاولات إدماجها النوع من الدراسات فى إطار علوم المعلومات والاتصالات، وكان لابد من مدخل علمى يتم على ضوئه إتمام هذا التزاوج الأكاديمى بنجاح، وقد برز البيبليولوجى، كمدخل علمياً مناسباً، تأخذ من خلاله هذه التقنيات والوسائط الحديثة، وما يحيط بها من أنشطة ومؤسسات، شرعيتها الأكاديمية. ولكن، كان هناك تساؤل قائم، يتعلق بالمفهوم السائد للبيبليولوجى «كعلم الكتاب»، وإمكانية استيعابه لهذه المفردات العلمية الجديدة من خلال منظوره العلمى الحالى، وكان لابد من التفاكر وإعادة الرؤية فى تطوير هذا المفهوم، قبل قبول وتبنى هذا التوجه.

و «لحسن الطالع»<sup>(٣٩)</sup>!!، فإن الحاجة كانت ملحة، والظروف مواتية، والأحداث سريعة ومتلاحقة، وتضافرت جهود علماء المجال لإضفاء ثوب جديد على البيبليولوجى، وتغيير بعضاً من مفاهيمه الأساسية، ليناسب دورة الجديد. وكان

لا بد أن يبدأ التغيير من جوهر العلم ومفهومه الأساسى، وأعنى ذلك «الكتاب». وبدأت سلسلة البحوث والدراسات لإعادة النظر فى مفهوم وتعريف الكتاب<sup>(٤٠)</sup>. وقام علماء بولنديون بنشر موسوعتين لعلوم الكتاب<sup>(٤١)</sup>. وتعددت البحوث والدراسات التى طرحت من خلالها الآراء التى تنادى بالعمل على تغير المفاهيم المحيطة بالكتاب. وتوجت هذه الجهود، عندما قامت اليونسكو بالتحضير للسنة العالمية للكتاب عام ١٩٧٢ «وسعت فى هذا الأمر إلى استطلاع رأى الخبراء فى مجال نظم المعلومات والاتصالات حول تعريف مصطلح «كتاب»، ومن الجلى أن الاستطلاع جاء عن رغبة أكيدة، للمنظمة العالمية فى التوصل إلى تعريف جديد للكتاب»، يتماشى ومعطيات العصر، ويبرز التطورات الجديدة التى طرأت على مفاهيم التى ارتبطت بهذا المصطلح»<sup>(٤٢)</sup>. وبعد استطلاع رأى الخبراء أصدر اليونسكو UNESCO، التعريف التالى للكتاب «كلمة كتاب، تغطى كل أشكال الكتابات المطبوعة التى تُمثّل جيداً على التأمل والتفكير، وهذا يشمل أيضاً الدوريات والأنماط الأخرى من مواد القراءة»<sup>(٤٣)</sup>.

وعلى ضوء هذا المؤتمر، قام ثلاثة من العلماء الفرنسيين بإنتاج أول عملٍ ضخم، يتناول مفاهيم البيبليولوجى بشكل موسع، يعد الأول من نوعه، بعد عمل أوليه OTLET الذى نُشر عام ١٩٣٤. وقام مؤلفى العمل من خلال فصل كامل أطلق عليه «البيبليولوجى، المنظور العلمى»، بدراسة وشرح وتحليل المصطلح على ضوء التطورات التى طرأت عليه، منذ ظهوره فى عمل أوليه ١٩٣٤ إلى عام ١٩٧٢، وقد أطلق على هذا العمل عنوان «الكتاب الفرنسى، أمس، اليوم، غداً»<sup>(٤٤)</sup> Le Livre Fran- «cais, hier, aujourd' hui, demain». وبدأ البيبليولوجى

المؤتمرون في الاعتبار عند مناقشتهم لهذه القضية، وقد أجمع المؤتمرون على أن هذه التسمية، أي «علم الكتاب»، قاصرة ومحدودة، ولا تعطي المفهوم الكامل لهذا العلم على ضوء معطيات العصر، ولهذا، اتخذ المؤتمر توصية بتكوين فريق عمل، مكون من علماء متخصصين في المجال، لدراسة هذا الأمر، والخروج بتصوير شامل وتوصيات محددة، لأقرار المفاهيم المتعلقة بالبيبلولوجي والمتناسبة مع المعطيات الجديدة لعلوم المعلومات والاتصالات، وتم تكوين مجموعة العمل من ج. البير J. ALBERE ، ج. بريتون J. BRETON ، ر. استيفال R. ESTI-VALS ، ج. جينو J. GUENOT ، ج. ميريا J. MEYRIA ، وأخذت هذه اللجنة العلمية على عاتقها دراسة هذه القضية على ضوء المعطيات التالية<sup>(٤٦)</sup> :

١ - مصطلح بيبولوجي، فقد الكثير من الفاهيم التي ارتبطت به خلال رحلته الطويلة، كما أنه اكتسب مفاهيم أخرى منذ استخدامه للمرة الأولى، وذلك، كنتيجة حتمية لمروره بالعديد من المتغيرات التي تتصف في بعض جوانبها بالسلبية والركود، وبالنشاط والحيوية في بعضها الآخر، ما أدى إلى انصاف بعض مفاهيمه الأساسية بالغموض وعدم الوضوح العلمي.

٢ - لازالت بعض المفاهيم المتعلقة بعلاقة البيبلولوجي، وبعض العلوم الأخرى كعلم الوثائق Documentology / Documentologie ، عالقة به، ويلزم العمل على فك هذا الارتباط، حتى ينقى العلم مما زال عالقاً به من رواسب تؤثر على مفاهيمه الأساسية.

٣ - استخدام اليونسكو UNESCO ، لمصطلح بيبولوجي، لازال متمسماً بعدم الوضوح والمحدودية، مما يؤثر سلباً على الرؤية الحقيقية لأبعاد هذا العلم، ولذا توجد ضرورة لتصحيح هذا المفهوم لدى تلك

بمنظوره الجديد، يجد اهتماماً من الباحثين والعلماء في مجال المعلومات والاتصالات، وقد كان لكتاب العالم الروماني ديما دراجان-Dima DRA GAN ، الذي نشره عام ١٩٧٦ بعنوان «البيبلولوجي الشامل» «Bibliologia Generala» صدى واسع في المجال، حيث تناول في عمله المفاهيم المتصلة بعلوم الكتاب والكتابة من خلال منظور علمي شامل وموحد<sup>(٤٥)</sup>. وعلى صعيد الجمعيات العلمية، تم إنشاء جمعيتين متخصصتين في فرنسا، عام ١٩٧٦، أولهما الجمعية الفرنسية للبيبلولوجي - La Societe de bibliologie et Schematisation ، في باريس، والتي أصدرت أو دورية متخصصة للبيبلولوجي : Schema et Scematisation : Revue de Bibliologie حيث تخصصت في الكتابات حول البيبلولوجي، وتناولت قضاياها الحيوية ومعضلاته البحثية، ومناهجه وخطط تصنيف الكتابات المتعلقة بهذا المجال، كما أفسحت المجال للباحثين في الإدلاء بأرائهم حول نظريات وتطبيقات هذا العلم، ونشرت هذه البحوث تبعاً في الدورية، مما أوجد للبيبلولوجي طريقاً للانتشار. أما الجمعية الثانية، والتي أنشئت - أيضاً - في نفس العام، فهي «جمعية علوم المعلومات والاتصالات».

« Société des Sciences de l'Information et de la Communication » التي تبنت، بعد مرور عامين من إنشائها، عام ١٩٧٨، مؤتمراً عالمياً حول المعلومات والاتصالات « INFORCOM »، وفي هذا المؤتمر تم التعرض لقضية البيبلولوجي والمفاهيم المتصلة به، وأثيرت تساؤلات حول، ما إذا كان من الملائم أن يظل البيبلولوجي في إطار مفهومه الأساسي الذي طرحه به أولتليه OTLET، أم يجب أن يتغير على ضوء التطورات الحديثة التي طرأت على مجال المعلومات والاتصالات، والتي أخذها

المنظمة الدولية، ومحاولة الاستعانة بإمكاناتها الكبيرة في نشر المفاهيم الصحيحة حول البيولوجى، نظراً لما لهذه المنظمة من وجود مؤثر فعال فى تأصيل المفاهيم فى مجال العلوم.

٤ - استناداً على أن البيولوجى، أحد العلوم المتفرعة من علوم المعلومات والاتصالات، لذا يجب التعامل معه من خلال هذا الإطار والمفهوم العلمى، ولكن الصعوبة فى ذلك أن المفاهيم المتعلقة بعلوم المعلومات والاتصالات، كانت ولازالت غير واضحة أو محددة.

٥ - لا بد من الأخذ فى الاعتبار، أن البيولوجى، وأن عد كعلم متفرع من علوم المعلومات والاتصالات، إلا أنه يختص بسمات معينة تميزه عن باقى علوم هذا المجال، حيث أنه يستند فى المقام الأول على «أوعية معلومات مكتوبة»، أى على «ظاهرة الكتابة»، وهى ظاهرة تمتد لتغطى العديد من أشكال التعبير الكتابى، بداية بالتصوير والرسوم والنقوش، الرموز، والأشكال الإيضاحية، وحتى الحروف والأبجديات والشفرات والمعادلات العلمية المختلفة، قديمها وحديثها. بذا تتداخل وتندمج فيها أنظمة كتابية وطباعية متعددة، لها مفاهيمها المحددة سواء من زاوية الخصائص الشكلية (كالرمز، التصاوير، الحرف، الرقم... الخ.)، أو من منطلق الخصائص الموضوعية (الدلالات اللغوية، اللفظية والمصطلحية، المعانى، التراكيب... الخ.). هذا بجانب أن أوعية المعلومات المكتوبة، تأخذ شكل وسائط متعددة، تختلف فى طبيعتها المادية والتنوع، وتتفاوت ما بين الوسائط القديمة للكتابة (الألواح والرقم الطينية، أوراق البردى، عظام الحيوانات، الأخشاب ولحاء الأشجار، الحجارة، الحرير... الخ.)، إلى الوسائط الورقية واللاورقية الحديثة، وتلك قبل الأخيرة يتم تصنيفها إلى عدة أنواع أساسية يشار

إليها - عادة - كأوعية المعلومات أو أوعية المعرفة (الكتاب، الدورية، التقارير، الأطروحات، وثائق المؤتمرات... مخرجات الحاسب الآلى... الخ.). ومع التطورات والتقنيات الحديثة التى طرأت على هذه الوسائط، وغيرت من اجراءات وتقنيات انتاجها، وبدلت فى طبيعتها وأشكالها المعروفة والمألوفة، فكان لا بد من تحديد موقف البيولوجى من تلك التطورات، وما يترتب عليها من بحث ودراسة وتحليل هذه الأوعية وما يتصل بها من أنشطة وتطبيقات.

وقد خرجت اللجنة من خلال دراستها لهذه القضية البيولوجية، بتوصيات عديدة، يهمننا منها فى هذا الصدد، التوصية التى نصت على ضرورة تغير مفهوم البيولوجى، من «علم الكتاب» إلى مفهوم أوسع وأشمل، ليصبح «علم الكتابة»، وتلقف الباحثون، والجمعيات المتخصصة والمعنية بهذا المجال، هذا المفهوم الجديد وعملوا على نشره وتقديمه للأوساط العلمية والأكاديمية كمفهوماً ومسمىاً يتم التعامل به مع البيولوجى فى المرحلة القادمة.

وإنتى أرى أن تغير مفهوم البيولوجى من «علم الكتاب» إلى «علم الكتابة»، كان لا بد أن يتم خلال هذه الحقبة الزمنية، لأسباب عدة، يمكن تلخيص أهمها فى الآتى:

١ - التطورات الكبيرة التى طرأت على تقنيات الكتابة، نتيجة للتقدم التكنولوجى الهائل، الذى غير طبيعتها ومفهومها كوسيط للاتصال.

٢ - أدى ذلك ضرورة تطوير وتحديث المناهج الدراسية، والمسارات الأكاديمية فى دراسات علوم المعلومات والاتصالات، فى مؤسسات التعليم العالى.

٣ - البحث عن الصيغة الملائمة والإطار العلمى



المناسب، للدراسات المقترحة، وظهور الببليولوجى كمرشح رئيسى للقيام بهذا الدور.

٤ - ظهور صعوبة تبنى هذا التوجه، نتيجة لقصور المفاهيم الأساسية المحيطة بالببليولوجى فى استيعاب كل المفردات العلمية للدراسات المقترحة.

٥ - الحملة العلمية التى قام بها باحثو وعلماء المجال، لتطوير وتحديث مفاهيم الببليولوجى، ليتناسب والدور المرشح له فى المجال الأكاديمى، والتى أخذت مسارين، الأول منها، أدى إلى تغير مفهوم «الكتاب» ليستوعب كل أوعية المعلومات والوسائط الاتصالية المطبوعة، الدورية منها وغير الدورية، والثانى أدى إلى تنقية وتطعيم وتنقيح المفاهيم المتعلقة بالببليولوجى ليشتمل على كل المفاهيم المحيطة بظاهرة الكتابة، وبالتالي يتبلور مفهومه الأساسى إلى «علم الكتابة».

٦ - الدور الفعال والنشط، للجمعيات العلمية الإقليمية والدولية المتخصصة، فى تقديم الببليولوجى بصورته الجديدة «كعلم الكتابة»، مما أدى إلى تبنية من قبل العديد من الجامعات والأكاديميات الأوروبية، فى برامجها ومقرراتها الدراسية الجامعية، وإقراره فى خططها البحثية للدراسات العليا فى مجال علوم المعلومات والاتصالات.

وبذلك اكتسب الببليولوجى، ارضاً جديده فى المجال العلمى، وإن كانت طموحات المنتمين للمجال لم تتوقف عند هذا الحد، وسعوا للحصول على مكتسبات جديدة لتطوير مفهوم هذا العلم. بالفعل ونتيجة لهذه الجهود، وبعد بضع سنوات فقط من تحول مفهوم الببليولوجى من «علم الكتاب» إلى «علم الكتابة»، - تم مرة أخرى - تطوير هذا المفهوم إلى «علم الاتصال المكتوب»،

وهى الرؤية التى استقر عليها علماء المجال، وأخذ بها، منذ بداية النصف الثانى من العقد التاسع، وتحت هذا المسمى أنشئت العديد من الجمعيات الوطنية، والجمعية الدولية للببليولوجى، وتم التعريف به إدراجه فى الدراسات الأكاديمية فى إطار هذا المفهوم، فى أكثر من عشرين دولة فى العالم. وتحليلنا التالى سيتناول هذا الموضوع بشيء من التفصيل.

٤/٣ - المحور الثالث: الأبعاد الدولية «وعلم الاتصال المكتوب»: العقد التاسع/ بداية العقد العاشر

ببداية العقد التاسع من هذا القرن، بدأت تتضح الملامح الأساسية للببليولوجى، بعد انفصاله من مفهوم الأعمال الجغرافية الوصفية والتحليلية، والتقنيات التطبيقية للممارسات المهنية فى مجال المكتبات، كما أنه تخرر من إطار المفاهيم التاريخية والاجتماعية للكتاب، وخرج من دائرة علم الوثائق، وأبعاده الفلسفية والمصطلحية، ووجد الإطار العلمى المناسب «كعلم الكتابة»، ليشق طريقه منفرداً ومحراً من كل هذه القيود. وكانت تلك الفترة مناسبة - أيضاً - ليخرج من دائرة المحلية والإقليمية إلى رحاب العالمية. وكان لزاماً فى هذه الفترة أن تبدأ دراسة لتوجهات ورؤى العلماء والعاملين فى المجال على المستوى الدولى، لاستطلاع رأيهم حول هذا العلم الجديد، وما هى درجة استعدادهم لتبنيه على مستوى الدراسات الأكاديمية فى الجامعات والمعاهد المتخصصة، وإدراجه فى برامجهم البحثية للدراسات العليا والبحوث العلمية للمجال.

وبدأت جهود المهتمين بهذا العلم تتواصل لتحقيق هذه الغايات، ففى نوفمبر عام ١٩٨١، قامت أكاديمية العلوم البلغارية، بتنظيم ندوة عن الببليولوجى، فى صوفيا، بعنوان «الببليولوجى، علم

l'enseignement bibliologique, le livre et la lecture  
en Afrique» (٤٩).

وقد تعددت المحاور التي قامت عليها بحوث هذه الندوة، تناول أولهما؛ البحث العلمي والأكاديمي في مجال الببليولوجي؛ وناقش الثاني، أنشطة وتطبيقات المجال (نشر، طباعة، خدمات مكتبات ومراكز معلومات في أفريقيا والبلدان العربية)؛ وتعلق الثالث بالمناهج والمقررات الدراسية في مجال الببليولوجي في بعض جامعات أفريقيا ودول المغرب العربي - وعلى أثر هذه الندوة تشكلت - أيضا - لجنة تحضيرية، والسكرتارية الفنية، للجنة الدولية للببليولوجي.

وفي شهر ديسمبر من نفس العام، عُقدت في بودابست، ندوة ثنائية فرنسية مجرية حول «الكتابة، وتكنولوجيا الحاسب الآلي L'écrit et l'Informatique» (٥٠). وتناولت بحوث الندوة تأثير التكنولوجيا الحديثة على مجالات الكتابة، وأنشطتها المختلفة، وتأثير ذلك كله على مجال البحوث والدراسات والتطبيقات الببليولوجية. وفي هذه المناسبة، اجتمعت اللجنتان الفنية والتحضيرية للجمعية الدولية للببليولوجي، أقرتا برنامج عمل دولي، كان من بنوده الإسراع في إجراءات إنشاء الجمعية الدولية للببليولوجي، لتأخذ شرعيتها الدولية، وتشجيع البحوث والدراسات في هذا المجال، والسعي لإقامة قاعدة دولية تتمثل في لجان وجمعيات وطنية للببليولوجي في دول العالم.

وتواصلت الجهود الرامية إلى تعزيز مكانة الببليولوجي في العالم، فعلى صعيد التعاون الدولي، أقيم في باريس، ما بين ١٦ ، ١٨ مارس عام ١٩٨٧، مؤتمر دولي حول «النص، الكتاب، الوثيقة Le Text, le livre, le document» (٥١)، حيث تم فيه مناقشة هذه المفاهيم وعلاقتها ذات الطبيعة

الوثائق، علوم المعلومات والاتصالات: - La bibliologie, la documentologie et les sciences de l'information et la communication» (٤٧) وقد تم التركيز في هذه الندوة على تدعيم التعاون الدولي في مجال الببليولوجي، وقد تضمنت توصياتها العمل على إنشاء جمعيات للببليولوجي، على مستوى الدول المشاركة في هذه الندوة، والسعي للتوسع في إنشاء هذه الجمعيات على المستويات المحلية والإقليمية، تمهيدا للدعوة إلى إنشاء الجمعية الدولية للببليولوجي، كما أوصت بالعمل على إقامة المؤتمرات والندوات الدولية، لمناقشة قضايا الببليولوجي، وما يطرأ عليها من تطورات، لترشيد مساره والتغلب على أي عقبات يمكن أن تعوق تطوره وتأصيله.

وفي فبراير عام ١٩٨٤، عقدت ندوة ثانية بباريس، والتي أُطلق عليها ندوة باريس بعنوان «البحث والتعليم الببليولوجي وتعليم المهن الخاصة بالكتاب: La recherche et l'enseignement bibliologique, et l'enseignement des metiers du livre» (٤٨). وتم خلال هذه الندوة، مناقشة الدراسات والبحوث المتعلقة بأنشطة الكتابة وتطبيقاتها في المجتمع، والأبحاث والدراسات النظرية في مجال الببليولوجي، وقد شارك في هذا المؤتمر بجانب الباحثين الفرنسيين، باحثين على المستوى الأوروبي، والأفريقي، والعربي، وتم خلال الندوة تشكيل لجنة مؤقتة للجمعية الدولية للببليولوجي.

أما عام ١٩٨٥، فقد تميز بنشاط كبير، من أجل توحيد المكتسبات السابقة، وتدعيم مركز الببليولوجي العلمي، وتطوير التعاون الدولي في هذا المجال. وعقدت في تونس في شهر فبراير، ندوة بعنوان «البحث والتعليم الببليولوجي، الكتاب والقراءة في أفريقيا: La recherche et

المتداخلة، ومدى تأثير التقنيات الحديثة على الإنتاج والإفادة من هذه الأشكال الاتصالية المكتوبة، ونتج عن المؤتمر، تبنى برنامج دولي للبحوث في مجال البيبلولوجي، وتأكيد أهمية دور الدورية الدولية للبيبلولوجي في نشر البحوث الناجمة عن هذا البرنامج.

وبنهاية عام ١٩٨٧، كانت الاستعدادات النهائية لعقد الندوة الدولية للبيبلولوجي، في تونس في مارس ١٩٨٨، قد اكتملت، وبالفعل تم عقد الندوة، بعنوان «تعليم مهن الكتاب، وتكنولوجيا الاتصالات الحديثة» L'enseignement des matiers du livre et les nouvelles Technologies de la communication وأهمية هذه الندوة ترجع إلى عدة أسباب، أولها التجمع الكبير لعلماء وباحثين يمثلون لأربعة عشر دولة أوروبية وأفريقية وعربية، بجانب كندا، مما أثر على المجال البحثي للبيبلولوجي، بعرض الكثير من وجهات النظر التي تمثل العديد من المدارس الفكرية المختلفة وثانياً، تم فيها الإعلان الرسمي لإنشاء الجمعية الدولية للبيبلولوجي-L'Association Internationale de Bibliologie التي طال انتظار باحثو وعلماء المجال لها، وتم تشكيل عضويتها من الدول المجتمعة، وفتح باب عضويتها لاستقبال الطلبات من جميع أنحاء العالم، وفي هذا الصدد تم توجيه خطاب رسمي إلى اليونسكو، لاعتماد الجمعية في برامجها الدولية المتعلقة بمجال المعلومات والاتصالات، وقبل نهاية المؤتمر، كان قد تم تشكيل أعضاء مجلس الإدارة، والمجلس التنفيذي، واللجان الفنية، وإعطائها الصلاحيات لبدء برنامج العمل الدولي الذي أقره المؤتمر. أما الحدث الثالث، فهو يعد من أهم التطورات التي حدثت على مجال البيبلولوجي منذ بداية هذا العقد، حيث توصل المؤتمر بعد مناقشات عديدة

حول قضية البيبلولوجي، على ضوء البرنامج الدولي لتطوير الدراسات والبحوث في المجال، والمقررات الدراسية الأكاديمية في مستوى التعليم العالي، وعلاقة البيبلولوجي بعلوم المعلومات والاتصالات، إلى التوصية بتغيير اسم العلم من «علم الكتاب» إلى مسمى آخر يستوعب هذه المعطيات الجديدة، ويعكس - في نفس الوقت - علاقة العلم بمجال المعلومات والاتصالات، وتم تعديل المسمى القديم ليصبح «علم الاتصال المكتوب»، وتمت الموافقة على هذا المسمى الجديد بالاجماع. ونشرت الجمعية الدولية للبيبلولوجي بياناً مطولاً، بأربع لغات، الفرنسية، الإنجليزية، العربية، البولندية، توضح فيه هذا المفهوم الجديد وتقدم البيبلولوجي للعالم بصورته الجديدة. وبهذا دخل البيبلولوجي مرحلة جديدة يشار فيها إليه «بالاتصال المكتوب».

منذ ندوة تونس ١٩٨٨، عقدت العديد من المؤتمرات والندوات على المستويات الدولية والإقليمية والمحلية، في إطار برنامج العمل الدولي للجمعية الدولية للبيبلولوجي (لا مجال هنا لذكرها بالتفصيل). نذكر منها الندوة الدولية الثامنة للبيبلولوجي التي عقدت في باريس في سبتمبر ١٩٨٩، بعنوان «النظرية، المنهجية، والبحث في البيبلولوجي»-La theorie, la methodologie et la recherche de la bibliologie حيث أسفرت هذه الندوة عن توصيات تتعلق بالعمل على نشر موسوعة للبيبلولوجي، ببيبلوجرافيا شاملة للأعمال والأبحاث والدراسات في مجال البيبلولوجي، خطة تصنيف شاملة للكتابات في مجال البيبلولوجي، بالإضافة إلى دليل بيبلولوجي دولي، بالمؤسسات والهيئات الأكاديمية التي يعتمد فيها تدريس المواد والمقررات المتعلقة بهذا المجال، وأوصى المؤتمر في هذا الصدد بالعمل على نشر أدلة محلية وإقليمية يستند

## ٥ - المنظور التحليلي: رؤية تفسيرية لمسار تطور الببليولوجي

أود قبل أختتم دراستي هذه، أن ألقى الضوء على بعض الجوانب التي وجدتها عند بحثي في هذا الموضوع مثيرة للاهتمام، أولها، يتعلق بتساؤل يتبادر إلى الذهن حول كيفية تفسير هذا المسار البطيء الذي اتسم به التطور في مجال الببليولوجي، وتعبير آخر، لماذا تطلب الاعتراف بالببليولوجي كعلم، هذه الفترة الزمنية الطويلة نسبياً؟. في اعتقادي، أن خلال الفترة من بداية القرن التاسع عشر، وحتى بداية القرن العشرين، لم يكن هذا المصطلح، يهم إلا فئات محدودة في الأوساط العلمية، تتمثل في العاملين في مجال المكتبات كمهنيين وباحثين، ويلاحظ أيضاً أن القرن التاسع عشر تميز بالزيادة - النسبية - المطردة في الإنتاج الفكري العالمي، وهذه الزيادة ذات مغزى عميق، فمن الواضح أن هذا الإنتاج المتضخم كان له كبير الأثر على أنشطة العاملين في مجال الكتاب (منتجين، موزعين، منظمين) وأيضاً على فئة الباحثين الراصدين والمقننين لهذا الإنتاج من خلال عمل القوائم والسجلات والتصنيف، ولذا نجد أن هذه الأعمال برزت كنشاط تقني متميز، وأدى ذلك إلى تطوير تقنيات حفظ وتخزين واسترجاع هذا الإنتاج، مما ساعد في تطوير خدمات المكتبات، ووضع على بساط البحث القضايا المتعلقة بإنشاء وتطوير وتحديث المكتبات، ومرافق المعلومات، كنتيجة لهذا التطور. وأدى النمو الكبير في الإنتاج الفكري - أيضاً - إلى ضرورة تصنيف وترتيب هذه الأعمال بمفاهيم منطقية جديدة، وبعمليات تقنية متميزة، وبالتالي بدأ التعرف والاعتراف بالببليولوجي، كمنطق متميز، وقيمة نظيرية، ومفهوم علمي يختلف عن العمليات التقنية والإجراءات التطبيقية

عليها عمل هذا الدليل الدولي، وكلفت لجان من الجمعية الدولية بمتابعة هذا الأمر.

وفي مارس ١٩٩٠، عقد المؤتمر التاسع للببليولوجي تحت عنوان «الندوة الدولية التاسعة للببليولوجي»<sup>(٥٢)</sup> تحت رعاية الجمعية الدولية للببليولوجي، واليونسكو، ومعهد الصحافة وعلوم المعلومات بتونس، ومثلت فيه ٢٣ دولة<sup>(٥٣)</sup>، حيث نوقشت فيه القضايا الحيوية للببليولوجي من خلال أربع ورش عمل، تناولت كل منها إطار بحثي معين، حددت عناوينها كالآتي:

١ - الببليولوجي والاتصال - Bibliologie et Communication

٢ - الكتابة، الصور، المشاهدة والتقنيات الحديثة - Ecrit, Image, Oral, et nouvelle Technologie

٣ - الكتابة والموروثات - Ecrit et Patrimoine

٤ - الببليولوجي والمجتمع - Bibliologie et Societe

أعلن من خلال هذا المؤتمر عن إنشاء ثلاث عشر جمعية أقليمية للببليولوجي، في الدول المؤسسة للجمعية، وبدأ العمل في البرامج الدولية التي تم اقتراحها والتوصية بها في المؤتمر السابق، والتي تتعلق، بالببليوجرافيا، وخطة التصنيف، والموسوعة، والأدلة، كما أعلن المؤتمر عن إنشاء المسارات والبرامج الدراسية، وأعمال البحوث على المستوى الجامعي والدراسات العليا في كل من فرنسا، بلجيكا كندا، الجزائر، المغرب، تونس، السنغال، ساحل العاج، ألمانيا، رومانيا، المجر، بولندا، وبلغاريا. وبدأ واضحاً أن الببليولوجي «علم الاتصال المكتوب»، بدأ يشق طريقه إلى العالمية بحضرة ثابتة وحديثة.

تطوره، والتي لا تتطابق بصورة منطقية مع نظرية التطور الطبيعي للعلوم، فعادة تنشأ العلوم بمفاهيم شاملة، ثم تأخذ خلال مسارها التطوري صفة التخصص، بمعنى أنها تبدأ من الشمول وتنتهي إلى التخصص العلمى، وهو عكس ما حدث - تماماً - مع البيولوجى، حيث بدأ بمفهوم متخصص ضيق «الكتاب»، وانتهى إلى مفهوم أشمل وأرحب «الاتصال المكتوب». وهو أمر بدأ لى غريباً من الوهلة الأولى. إلا أننى ومن خلال الرؤية التحليلية الشمولية، للمسار التطورى التاريخى للبيولوجى، ومن خلال تحليل المعطيات، والمناظير التى تعلقت بنشأته، توصلت إلى قناعة أن هناك فى هذا التاريخ وهذه النشأة ما يبرر هذا الموقف غير المؤلف.

فبينما تعتمد معظم العلوم فى كافة المجالات المعرفية، فى قيامها على مسار طبيعى يبدأ بملاحظة الظاهرة، وينتهى بالتنظير والتطبيق العلمى، نجد أن البيولوجى أخذ المسار المعاكس تماماً، فقد بدأ بالتطبيق من خلال مهن ممارسة بشكل عملى فى المجتمع، وحول معطياتها إلى ظواهر اجتماعية، ليبدأ بها مسيرته العلمية، وهو عين ما حتم على الباحثين والعلماء والمهتمين بهذه القضية، أن يبحثوا وينقبوا فى هذا الكم من الممارسات والتطبيقات المهنية على نقطة ارتكاز لها أبعاد فلسفية واجتماعية، يبدؤن منها رحلتهم التنظيرية، ويصلون بها فى النهاية إلى استيعاب كل الممارسات التطبيقية والعملية، وإضفاء صفة الشرعية العلمية عليها، ووجدوا ضالتهم فى «الكتاب» كقيمة اجتماعية، وإنتاج عقلائى، يعكس الفكر الاجتماعى الفلسفى للبشرية، وله - أيضاً - مكانته العلمية بين أوساط المثقفين والمفكرين والعلماء. ولذا فإن انعكاس مسار التأصيل للعلم، أوجب انعكاس مسار التأصيل فى المفاهيم.

فى مجال المعلومات، كما أن انتماء البيولوجى، إلى مجال علمى لم تتضح مفاهيمه ومعايره بعد، بل كانت هى الأخرى فى مرحلة التطور والتقلب وعدم الاستقرار، حيث نجد أن المفاهيم العلمية والتنظيرية المحيطة بعلوم المعلومات والاتصالات - بوجه عام - لم تبدأ فى الوضوح والاستقرار إلا مؤخراً فيما لا يزيد عن عقدين من الزمان، أقول أن انتماء البيولوجى إلى مجال كهذا أدى البطء النسبى فى مساره.

ولذا نجد أن البيولوجى، فى مساره التطورى، كان يعتمد على أربعة عوامل، كان أولهما يتصف بالحدودية، وثانيهما بالتغيرات المفاجئة، وثالثهما بالتأخر فى الظهور، أما رابعهما فكان يتصف بعدم الوضوح الكامل ويمكن تلخيصها فى الآتى:

١ - قلة الباحثين المهتمين بهذا المجال، مقارنة مع كثير من المجالات العلمية الأخرى.

٢ - وبطؤ النمو فى البداية فى الإنتاج الفكرى العالمى المكتوب، ثم ازدياده بنسب عالية مما أدى إلى عدم قدرة الباحثين على المتابعة والتعامل الفورى مع هذه التغيرات المفاجئة واستلزم بعض الوقت لتطويعه والسيطرة عليه، لخدمة أغراض البيولوجى.

٣ - التقنيات الحديثة، والتكنولوجيات المعاصرة وتأثيرها على المفاهيم فى مجال المعلومات والاتصالات ككل، والتى تأخر ظهورها إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية.

٤ - عدم وضوح الرؤية حول كثير من المفاهيم المتعلقة بالمجال العلمى الرئيسى الذى ينتمى إليه البيولوجى، وأعنى بذلك مجال المعلومات والاتصالات.

أما الجانب الآخر الذى أثار فضولى كباحث، فكانت الظاهرة التى اتسم بها البيولوجى فى

## ٦ - الخاتمة: كلمة أخيرة

من الواضح أن التأريخ للبيبلولوجي ليس بالأمر السهل، فالأحداث المتعلقة بذلك التاريخ حدثت خلال فترة تقل بقليل عن قرنين من الزمان، منذ أن كان البيبلولوجي يعنى «علم الكتاب» إلى أن تحول إلى «علم الاتصال المكتوب»، من خلال اقترانه في فترة زمنية بمفهوم «علم الكتابة»، ويمكن أن نؤكد من خلال دراستنا لهذا التاريخ، أن القرن التاسع عشر يعد - بحق - القرن الذى تم فيه الفصل ما بين المفاهيم المتعلقة بالبيبلولوجي، من تلك المتصلة بالبيبلوجرافيا كتقنيات أو كعلم، وكذلك - يعد - فترة انفصال عن المفاهيم المتعلقة بتقنيات المكتبات أو تاريخ الكتاب.

وسيشار دائماً إلى القرن العشرين على أنه القرن الذى تم فيه اكتشاف مفاهيم البيبلولوجي وأهدافه الأساسية، بالمقارنة مع تلك الخاصة بعلوم المعلومات والاتصالات.

ويمكن ملاحظة أن التطورات والتغيرات حول هذا العلم لم تتوقف، مما يدل على أنه لم يصل بعد إلى حالة الاستقرار الكامل، وإن كان قد وصل إلى مرحلة الحد الأدنى من الاستقرار، بحيث يمكن تصنيفه كعلم من علوم المعلومات والاتصالات، له تطبيقاته العلمية، ومناهجه البحثية، القائمة على أساس نظيرى سليم، والمستند بدوره على فروض علمية نابعة من ظواهر اجتماعية قائمة على الملاحظة والمشاهدة العلمية.

## الهوامش

1- Peignot, Gabriel. Dictionnaire raisonné de bibliologie, Paris: Villers, Anx, 2 vol.

2- Otlet, Paul. Traite de documentation: le livre sur le livre; theorie et pratique. Bruxelles: Van Keerberghen, 1934.

3- Muskowski, Jon. Sur la Statistique International des impremes" In: Congres international des bibliothecaires. Prague, 1926. T2: Proces verbal et memoires, p. 412-422.

4- HERTZEL, D.H. History of develop;ent of ideas in bibliometrics. In: Ency. of lib. and Inf. Sciences. 1985, p. 144, 145.

تم ترجمة هذا المقال من قبل كاتب البحث، ونشر في مجلة المكتبات والمعلومات العربية [١٩٩٣، ٤ع]

5- DEBURE, G.F. Bibliographie Instructive ou Traite de la connaissance des livres rares et Singuliers. Paris, 1763 / 1780.

٦. أنظر: المرجع رقم (٤) ص ٤٢٢. وكان مصدر الكتابة لهذه المعلومة.

SCHNEIDER, Georg. Theory and History of Bibliography, Translated by Ralph. SHAW, Columbia University Press, New York: 1934; theoretical Historical Portion of Handbuch der. Bibliographie, 3rd. ed. 1926, P.272.

7- ESTIVLS, R. GENERALITES. IN: IXe Colloque International de Bibliologie(1)\*. 20-24 Mars, 1990, p.16

٨. المرجع السابق، ص: ١٧.

9- WYNDHAM, HULME E. Statistical Bibliography in relation to the Civilization Lectures. Mars 1922. Butler and Tanner, Grafton, London: 1923, p.9.

١٠. للتعرف على إمكانية تطبيق هذه المناهج، راجع بحثنا المنشور في مجلة المكتبات والمعلومات: محمد جلال سيد محمد غندور. مناهج البحث في

(1)\* L'Association International de Bibliologie et L'Institut de Presse et des Sciences de L'information.

21- VARET, G. Histoire et Svoir: Introduction theorique a la bibliologie: les champs articules de la bibliographie philosophique. Paris, Les belles lettres, 1956.

٢٢. يرى البعض أن هذا التوجه لم يتعد مرحلة التجميع والدراسات الوصفية، واستغلال المنظور التطبيقي للبيبلولوجي (جمع، معالجة، تحليل وصفي، تخزين، استرجاع، وبث للمعلومات المكتوبة).

٢٣. استند هذا السرد التاريخي على تحليل وتطوير وصياغة للأفكار التي وردت في:

ESTIVALS, R., La bibliologie, Presse Universitaire de France. qui Sais, je?, 1987. p.11

٢٤. أنظر: البحث حول قضية نشأة مصطلح البيلومتری، مرجع رقم ١٧.

25 - ESTIVALE, R. La Bibliometrie, Bibliographie. Lille, Service de reproduction des theses de l' Universite de lille 3, 1971, 2vol.

26 - La Documentation en France, 1945, no. 7, p. 198.

٢٧. أنظر: المرجع رقم ٢.

٢٨. تم عرض نظرية أوتليه في نشأة البيلولوجي في هذا البحث تحت العنوان الجانبي: (٣). نشأة العلم).

٢٩. أنظر: المرجع رقم ٢.

٣٠. أنظر: المرجع رقم ٢.

٣١. أنظر: المرجع رقم ٢.

٣٢. أنظر: المرجع رقم ٣.

33- JAVAL, E. F. Physiologie de la lecture et de l'écriture, Paris, Alcan, 1905.

٣٤. فيما بعد، وعندما استقرت المفاهيم النظرية حول البيلولوجي تم تضمين هذا المفهوم كأحد المناظير الفرعية لنظرية علم الاتصال المكتوب تحت ما يسمى بالمنظور العلمي La bibliologie Scientifique.

علوم المعلومات - مجلة المكتبات والمعلومات العربية، ١٣، ع٣، يوليو ١٩٩٣، ص: ٤٥ - ٧٦.

١١. Bibliopolie، مصطلح مكون من شقين Polie، Biblio، والشق الأول معنى «كتاب» وقمنا بشرحه بالتفصيل في بداية الدراسة، أما الشق الثاني Polie، ويعني مصقول أو منقح، وأعتقد، أن بينو PIENOT، أراد باستخدام هذا المصطلح الذي يعني «الكتب المصقولة» أو «الكتب المنقحة»، أن يفرق ما بين الكتاب الذي ينتج ويوزع لأغراض أكاديمية وعلمية، وهو ما يجسده هذا المصطلح، وبين الكتاب الذي ينتج ويباع للأغراض الثقافية العامة والقراءة الخفيفة والترفيه.. وتتضح هذه الرؤية من خلال تفسيره واستخدامه لهذا المصطلح مقارنة بمصطلح Librairie الذي استخدمه للتعبير عن الفئة الأخرى من الكتب الثقافية العامة. وعلى أي حال فإن مصطلح Bibliopolie لم يكتب له الزيوع والانتشار، مما يدل أنه لم يلق استجابة إيجابية من جمهرة الباحثين.

١٢. أنظر: المرجع رقم (٧) ص: ٣.

13- LAROUSSE, Pierre. Dictionnaire Universel du XX Siecle, LAROUSSE, Tome 11, P. 1867.

14- HOUDE, Roland. Bilan de la bibliologie et histoire de mot. Revue de Synthese, 1934, p.45 - 52.

١٦. أنظر: المرجع رقم (٢).

١٧. أنظر: بحثنا حول هذا الموضوع في:

محمد جلال سيد محمد غندور: مصطلح البيلومتری: دراسة تحليلية، مجلة المكتبات والمعلومات العربية، سن ١٣، ع٤، سبتمبر ١٩٩٣.

18- MALCLES, L. N. La bibliographie, Paris, PUF, 1962.

19- OXFORD ENGLISH DICTIONARY, 1933. Vol. 1, p. 347.

٢٠. تم طرح بعض هذه الآراء والأفكار في المرجع رقم ٧، ص: ٥.

المصادر المكتوبة بهذه الصورة التي أوردتها في هذا البحث، سواء من زاوية الترتيب الشكلي أو الموضوعي، بل وردت بصورة مجملة في كتابات الباحثين، وقد استقيت معظم معلوماتي - في هذا الصدد - من واقع كتابات روبر استيفال - R. ESTI- VALS أحد أعضاء هذه اللجنة، ومن خلال المناقشات والمحاورات العلمية التي أجريتها معه في فترة إشرافه العلمي على أطروحتي لدكتوراه الدولة التي حصلت عليها من جامعة بوردو ٣ بفرنسا، ١٩٩٠.

47 - ESTIVALS, R. LES Sciences bibliologique. Schema et Schematisation. No. 1981, p. 21.

48 - ESTIVALS, R., le livre en France, Paris, Retz, SBS, 1984.

49 - Le Colloque International d'Hammat, 1985, Institut de Presse et des Sciences de l'Information (I. P. S. I.) de Tunis. Shema et Schematisation, no. 22, 1985

50 - ESTIVALS, R. Regards sur la Cooprati on Intetrnationale en bibliologie, Lecture, No. 44, Juillet - aout. 1988, p. 2-3.

51 - Editorial. Schema et schematisation: Re- vue de la bibliologie, no. 24, 1987. p.5

٥٢. المصدر: وثائق عمل المؤتمر المذكور، حيث شاركت في أعمال هذه الندوة بورقة عمل تتعلق بمكنز في مجال الببليولوجي

"Thesaurus dans le domaine de la Bibliologie"

٥٣. فرنسا، بلجيكا، سويسرا، ألمانيا، إيطاليا، بلغاريا، المجر، بولندا، رومانيا، تشيكوسلوفاكيا، كندا، تونس، المغرب، الجزائر، السودان، لبنان، الأردن، اليمن، ساحل العاج، السنغال، الكونغو، توجو ومدغشقر.

35- MORNET, Daniel, Les ensinrnmt des bibliotheque privees (1750 - 1780). Revue d' histoire litteraire de la france, Juillet - September 1910.

٣٦. أنظر: المرجع رقم ٣.

٣٧. روبر اسكارييه. ثورة الكتاب. ترجمة اللجنة الوطنية اللبنانية، باريس: ١٩٦٣، يونسكو (١٩٦٥ / ١٩٦٦).

٣٨. أنظر المرجع رقم ٧. ص: ١٠.

٣٩. أستمح القارئ عذراً باستخدامي هذا التعبير الروائي غير العلمي الذي لا محل له في هذا «المنظور العلمي» حيث لا مكان للهواجس والظنون أو الصدف والتنبؤات غير المحسوبة علمياً، ولكنني لم أجد في جمعيتي اللغوية تعبيراً أفضل منه لإيصال رؤيتي البحثية «العلمية» - حول هذه المسألة - إلى القراء.

٤٠. أنظر: محمد جلال سيد محمد غندور. المدلول اللغوي والاصطلاحى للكتاب: دراسة تحليلية. مجلة الاتجاهات الحديثة في علوم المكتبات والمعلومات، س ٢ ع ٣، ١٩٩٥.

٤١. أنظر: المرجع رقم ٧، ص: ١٤.

٤٢. أنظر: المرجع رقم ٤٠.

43- UNESCO, Anatome d'une annee Interna- tional: L'annee du livre, 1972, L'UNESCO, PARIS, 1972. p.7

44 - ESTIVALS, R. Bibliologie et prospec- tive. In : CAIN, Julien, ESCARPIT, Robert, MARTIN, Henri - Jean, le livre francais heir, au- jour' hui, demain. Paris. Imprimerie nationale, 1972.

٤٥. أنظر: إلى المرجع رقم ٧، ص: ١٢.

٤٦. أود أن أوجه عناية القارئ إلى أن الأسس التي ارتكزت عليها هذه اللجنة العلمية لم ترد في

